أخلقة العولمة

بالسلوك الفطرى



تأليف/ دكتور

المأمون على جبر عمار المحامى

الأستاذ المساعد بكلية التربية للبنات بجزان

مستشار قانونى

مكتبة الآداب

٤٢ ميدان الأوبرا- القاهرة- ت: ٣٩٠٠٨٦٨

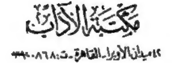
أَخْلَقَةَ العَوْلَمَةَ
بالسلوك الفطرى

تأليف/ دكتور

المأمون على جبر عمار المحامى

الأستاذ المساعد بكلية التربية للبنات بجزان

مستشار قانونى



مقدمـة :

يمثل النظام الإسلامي أساسا لا غني عنه للباحث المتصـدي لدراسـة ظاهرة العولمة بكل أبعادها حيث يزيد الباحث وعياً وقدره على تحليـل هـذه الظاهرة.

ولعل سائلاً يسأل منذ أن يطرح أمامه عنوان هـذا المؤلـف (أخلقـة العولمة بالسلوك الفطري) كيف هذا ؟ وهل العولمة رتبت آلياتها بعيـداً عـن الأخلاق الإنسانية باعتبارها مفروضة على الضعفاء في كافة شؤون حياتهم ؟ وهل يملك المتلقون التأثير فيها فعلاً بحيث يمكن تهذيبها ؟ وهل العولمة تحترم خصوصيات الآخرين ؟

أسئلة كثيرة تطرح على الساحة باحثة عن إجابة لها .

لأجل هذا أقدمت على الكتابة في هذا الموضوع ، مستقرئاً الأحداث العالمية ، مسترشداً برؤى بعض المثقفين والمفكـرين محلـلاً وقارئـاً لواقعنـا نحـن كمجتمعات وشعوب عربية وإسلامية موقناً بأننا قـادرون علـى أخلقـة هـذه الظاهرة بسلوكنا قبل أقوالنا .

وقد قسمت هذا المؤلف الي فصلين :-

الفصل الأول : أتناول فيه مفهوم العولمة وما قيـل عنهـا ، وذلـك فـي مبحثين :-

المبحث الأول : أوضح فيه مفهوم العولمة

المبحث الثاني: ما قيل عن العولمة .

الفصل الثاني : أتناول فيه موقف الإسلام من ظاهرة العولمةوذلك من خـلال ثـلاثة مبـاحث:-

المبحث الأول : موقف الإسلام من الديمقراطيـة وحقوق الإنسان .

المبحث الثاني: السلام والإرهاب بين الإســـلام والعولمة .

المبحث الثالث: أخــلقة العولمة بالســلوك الفطــرى

مفهوم العولمة وما قيل عنها

سيطر الحديث في العقد الحاضر على موضوع العولمة واكتساحها للحدود والسيادة والثقافات والحقوق فيما بين الدول ، وجرى تصوير الموضوع وكأنه شئ جديد وقوة مكتسحة للجميع بإرادتهم وبدون إرادتهم ، وأمام هذا التعويل والتعويم زاد الحديث عن العولمة غموضاً وإبهاما . فما هو مفهوم العولمة ، وما هي رؤى البعض حول هذه الظاهرة ، يقول فقهاؤنا: إن الحكم على الشيء فرع عن تصوره ، والحكم على العولمة لابد وأن يبدأ بتصور واضح لها وفهم عميق لمكوناتها ولما يمكن أن ينشأ عنها من آثار ، وعلى ضوء هذا قسم هذا الفصل إلى مبحثين ..

المبحث الأول : نتناول فيه مفهوم العولمة .

المبحث الثاني : نبحث فيه ما قيل عن العولمة .

المبحث الأول

مفهوم العولمة [1]

يقتضي المنهاج العلمي أن ابدأ بتحديد مفهوم " العولمة " وهو مفهوم لم يتفق عليه بعد العلماء والباحثون ، وقد سعيت جاهداً للعثور على تعريف جامع مانع للعولمة فلم أجد شيئا ، علىّ الرغم من كثرة ما قيل وكتب عنها سواء في الغرب أو الشرق . وشغلها لبال العلماء في الاقتصاد والاجتماع والتربية والسياسة باعتبارها توجها جديدا يبدو أنه ينضم إلى جملة المؤثرات المعاصرة على مستقبل العالم بعامة والعالم الإسلامي بخاصة..ويجب أن نذكر ونحن نتحدث عن مفهوم العولمة أنه مفهوم غير محدد في أدبيات الغرب أنفسهم ، ولكنه مثل ألفاظ كثيرة سبقته كالنهضة والتنوير تستشعر وتحس ولا تعرف بحد ، وألفاظٌ بعدها كالحداثة وما بعدها ألفاظ سائلة تدرك ظواهرها وظلالها وآلياتها ولا تحدد محدداتها .

على أن غياب التعريف الجامع المانع ، لم يحل دون ظهور تعريفات تنوعت وتلونت حسب الانتماءات الفكرية للمعرفين ، وحسب مدى استيعابها للظواهر نفسها . وإذا كان مفهوم العولمة لم يتفق عليه بعد بين العلماء والباحثين ، فإنني سوف اجتهد في تحديد هذا المفهوم ، مشيرا إلى أن اجتهادات المثقفين تختلف بالنسبة للعولمة المعاصرة فنجد فريقا يراها بما امتطت عليه من ثقافة متقدمة وإعلام غلاب تهدد هويتنا ، ومن ثم ينبغي أن توصد الأبواب والنوافذ دونها وأن نرفضها كلاً وتفصيلاً.

ويرى فريق آخر : أنها بشير تقدم ورقى ، وكيف لا وهي آتية من مجتمعات متقدمة ، وتمتطي أحدث ما وصل إليه العصر من أساليب الاتصال وثقافته ، ومن ثم ينبغي أن تفتح لها الأبواب والنوافذ على مصراعيها .

---

(١) لم يذكر المعجم الوجيز ، إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٩٧م (العولمة) لكنة ذكر العلماني فقال عند الغربيين المسيحيين من يعني بشئون الدنيا نسبة الي العلم بمعنى العالم وهو خلاف الكهنوتي

وهناك فريق ثالث يري : أن نأخذ منها المفيد ونتقي شر ما تأتي به المقالب ... وأمام هذه الرؤى المختلفة والمتعارضة أحياناً يرى أهمية فتح حوار عن العولمة لعلنا نصل فيها إلي كلمة سواء ، حيث يرى البعض (١) أن العولمة أو الكوكبية أو الكونية في الأساس أية متغيرات جديدة تنشأ في إقليم معين من العالم سرعان ما تنتقل وتمتد إلى باقي أنحاء العالم فتنشئ نوعاً من الترابط والاعتماد المتبادل بين مختلف أقاليم العالم، لكن هذا المفهوم للعولمة لا يمكن أن يتم إلا بين القوى المتكافئة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً ، بحيث لا يستطيع طرف فيها فرض التعبير على الطرف الآخر ، وبالتالي يتم الاعتماد المتبادل بين القوى المتكافئة ولا يسير التغير في اتجاه واحد من القوى إلي الضعيف .وهناك من لا يرى في العولمة إلا اتجاهاً متزايداً نحو تقسيم العمل وانتشار التكنولوجيا الحديثة من مراكزها في العالم المتقدم اقتصادياً إلي أقصى أطراف الأرض .

يقول السيد ياسين مستشار مركز الدراسات الإستراتيجية في جريدة الأهرام المصرية : " يمكن القول : إن صياغة تعريف دقيق للعولمة تبدو مسألة شاقة نظراً إلى تعدد تعريفاتها والتي تتأثر أساسياً بانحيازات الباحثين الأيدلوجية واتجاهاتهم إزاء العولمة رفضاً أو قبولاً " (٢) .ويرى البعض الآخر في العولمة : " أنها ما بعد الاستعمار وان ما بعد هنا لا تعنى القطيعة مع أل (ما قبل) بل تعني الاستمرار فيه بصورة جديدة كما نقول (ما بعد الحداثة) هي معنية بتنمية الفوارق وتعميم الفقر لأن قاعدتها الاقتصادية تقوم على كثير من السلع والمصنوعات بأقل ما يمكن من العمال عملاً بمبدأ كثير من الربح وقليل من المأجورين " . وهي مرتبطة عضوياً مع وسائل الاتصال الحديثة لنشر ثقافتها القائمة على ثقافة الاختراق ، وهي ليست نظاماً اقتصادياً

---

(١) انظر المجلة العربية ، العدد ٢٧٣ لسنة ٢٤ ، فبراير لعام ٢٠٠٠م ، تصدر في المملكة العربية السعودية ، ص ٣٨ .

(٢) المستقبل العربي ، العدد ٢٣٥، ص٦ .

فقط بل هي أيدلوجيات ونظام يقفز على الدولة والأمـــة والـــوطن [١] وفـــي المقابل يختزل البعض وصف العولمة بقوله : إن جوهر عملية العولمة تتمثل في سهولة حركة الناس والمعلومات والسلع بين الدول على النطاق الكوني

بعـــد هذا العرض يمكن عرض مفهومين للعولمة :-

الأول : أشير إليه بمفهوم " العولمة كما ينبغي أن تكون " وهو تصور للعولمة التي يتكافأ فيها الشمال مع الجنوب .

الثـــاني : اسمية " المفهوم المعاصر للعولمة " وسوف أحاول استقراءه من واقع التطبيق الفعلي المعاصر للعولمة

أ- مفهوم العولمة كما ينبغي أن تكون :

يمكن فهم " العولمة " -على وجه العموم – من الناحية الاصطلاحية بأنها حركة تهدف إلي تعميم تطبيق أمر ما على العالم كله، فمثلاً عبارة " عولمـــة تنقية البيئة " تعني جعل البيئة في جميع أنحاء العالم ، بيئة نظيفة ومناســـبة ، لأن تحيا الكائنات الحية فيها حياة صحية .. وتعني عبارة "عولمة الاقتصــــاد" جعل الاقتصاد في جميع أنحاء العالم يتبع النظام نفسه، ويطبق الأساليب ذاتها، ويستخدم آليات بعينها ، لصالح جميع الشعوب دون تمايز بينهما وتعني عبارة " عولمة السلام " أن تتعاون جميع الدول لحفظ السلام في العالم ، كما تتعاون على قتال المعتدين .

وهذا المفهوم يستتبع استفساراً مهما عن إجراءات الأخذ بهذه العولمة فهل تتبنى مختلف دول العالم هذه " العولمة " اختياراً ، بمعنى أنها تستشار في صياغة أسسها، وتخطيط أساليبها ، وتحديد آلياتها، وأنهـــا تتمتـــع بالحريـــة المطلقة في قبولها أو رفضها في النهاية ؟ إذا كانت إجابة الأســـئلة الســـابقة " نعم " فإن العولمة حين تسود جميع دول العالم ، فإن هذا يكون بنـــاء علـــى اختيار حر وإرادة مستقلة منها ، وتكون العولمة بذلك ظاهرة صحية.

---

(١) د. محمد عابد الجابري ، معلومات دولية السنة السادسة ، العدد ٥٨ ، ص٢٣ ، ص٢٤

ويمكن تطوير مفهومها ليكون : حركة قامت على اختيار جميع دول العالم اختياراً حراً ، لتعميم تطبيق أمر ما عليها جميعا دون تمايز بينهما .

وحيث إن العلم الحديث والثقافة المتقدمة هما مطية العولمة ، ومع مراعاة التعددية الثقافية والخصوصية الدينية والحضارية للشعوب ، وسعياً إلى تحقيق الأمن والرفاهة والسلام للجميع ، يمكن ان ننتهي إلى تحديد مفهوم " العولمة كما ينبغي أن تكون " على النحو التالي :

توظيف التقدم العلمي الثقافي المعاصر ، لتحقيق الآمن والسلام العالمين ، والسعي لتحقيق الرفاهية لجميع دول العالم ، وبناء علاقات هذه الدول على أساس التعامل مع التعددية الثقافية والخصوصية الدينية والحضارية .

ب- مفهوم العولمة المعاصر :

باستقراء التاريخ يتبين أن العولمة المعاصرة ليست جديدة ، ولا هي وليدة وقتنا الحاضر ، فهي ظاهرة نشأت مع ظهور الإمبراطوريات في القرون الماضية، ففي السابق حاولت الإمبراطوريات - مثل الإمبراطورية الرومانية والإمبراطورية الفارسية - أن تصبغ الشعوب التي تبسط نفوذها عليها بثقافتها ، وتطغى هذه الثقافة في مختلف جوانب حياة هذه الشعوب .

وقد عملت هذه الإمبراطوريات لتوجيه قيم هذه الشعوب وتقاليدها وحضارتها ، وفق أنماط الحياة التي تريدها ، فكانت هذه خطوة نحو العولمة ، وقد لبست هذه العولمة عدة أثواب أخرى ، منها الثوب العسكري، ومنها الاستعمار ، ومنها استنزاف الموارد، فقد قام الشمال باحتلال بلاد الجنوب متعللاً بشتى الأسباب وعن طريق هذا الاحتلال تحكم في مقدرات البلاد واستنزاف مواردها، وغرس ثقافتها فيها، وكانت هذه خطوة أخرى نحو العولمة واليوم وقد تفوق الشمال على الجنوب بما حاز من علم

وثقافة، وبما امتلك من وسائل الدمار الشامل ، أصبح الشمال مصدر الإنتاج في مختلف المجالات، وأصبح الجنوب مستهلكاً لهذا الإنتاج ولكي يقنن الشمال هذه العلاقة أطلق نداءه بالعو لمة واخذ بأسباب تحقيقها في مختلف الميادين وينظر البعض إلى العولمة المعاصرة بأنها آليات اقتصادية وأسواق عالمية، وجدت إطارها المقنن في اتفاقية التجارة العالمية ، التي تضع الاقتصاد أمام الإنسان، وتهدر سيادة الدولة ومصلحة الفرد لحساب السيطرة الاقتصادية ، ومن ثم فلابد من أن تتصادم مع التراث الثقافي لمختلف الشعوب ، نظرا إلى أنها تعمل علي صياغة ثقافة كونية تهدد الخصوصية الثقافية للمجتمعات .

وينظر آخرون إلي العولمة المعاصرة بأنها :

هيمنة المفهوم الغربي الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي على العالم ومن ثم فإنها تفرض على الآخرين – ليس فقط ما يتعلق بتخطيط التنمية ، وإنشاء البني التحتية والخدمات الأساسية – ولكن تتعدى هذا إلى البني الثقافية والحضارية ..

وفي ختام الحديث عن مفهوم العولمة يمكن القطع بأنه مصطلح لا جديد فيه أكثر من إعادة ترميم هيكله، وأنة مصطلح يختزل جملة أفكار يراد لنا التسليم بها و استراتيجيات يراد لنا الانخراط فيها ومن هنا يمكن إن يحدد مفهوم العولمة المعاصرة بأنه :–

سعى الشمال عن طريق تفوقه العلمي والتقني للسيطرة على الجنوب تربوياً وثقافياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً بدعوى مساعدته على التنمية الشاملة وتحقيق العدالة في الاستثمار والرفاهية للجميع .

المبحث الثاني
ما قيل عن العولمة

العولمة باعتبارها ظاهرة اختلفت حولها الـرؤى وشـغلت رجـالات الاقتصاد والسياسة والاجتماع قيل عنها الكثير الذي لا يمكن حصره في هـذا المبحث ، وما قيل عنها على سبيل المثال :- (١)

١ - العولمة ومقدماتها .
٢ - نحن والعولمة من يربي الآخر .
٣ - العولمة جريمة تذويب الأصالة .
٤ - كي لا نتحول إلى حيوانات مستهلكة .
٥ - العرب في مواجهه العولمة .
٦ - عولمة الالتفاف بدلاً من المواجهة .
٧ - العولمة الضرورة والضرر.
٨ - العولمة هي التكنولوجيا والتكنولوجيا هي الخطر .
٩ - لا مجال للفهلوة
١٠ - عولمة أم أمركة

ونحاول في هذا البحث إبراز أحدث ما قيل عن العولمة عند كوكبة من رواد الفكر في كافة المجالات.

العولمة ومقدماتها:

العولمة أو الكوكبة أو الكونية في الأساس أية متغيرات جديدة تنشأ في إقليم معين من العالم سرعان ما تنتقل وتمتد إلي باقي أنحاء العالم فتنشئ نوعاً من الترابط ، والاعتماد المتبادل بين مختلف أقاليم العالم .

---

(١) سلسلة كتاب المعرفة ، تصدر عن مجلة المعرفة ، وزارة المعارف ، المملكة العربية السعودية ، الناشر روناء للأعلام المتخصص .

وأهم مقومات هذا المفهوم الوفاق بين القوى الكبرى وسقوط الحـــدود السياسية و تآكل الحواجز الثقافية وعالمية الإنتاج المتبـــادل وانتشـــار التقـــدم والتكنولوجيا وعالمية الأعلام والمعلومات فالكوكبة هنا تعني انتقال المتغيرات والظواهر السياسية والاجتماعية والاقتصادية من مكان إلى آخر بشكل يـــؤدي إلى خلق عالم واحد أساسه توحيد المعايير الكونية وتحرير العلاقات الدوليـــة الاقتصادية وتقريب الثقافات ونشر المعلومات .... الخ .

ولكن هذا المفهوم للعولمة لا يمكن إن يتم إلا بين القـــوى المتكافئـــة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا بحيث لا يستطيع طرف فيها فرض التغير على الطرف الآخر وبالتالي يتم الاعتماد المتبادل بين القـــوى المتكافئـــة ولا يسير التغيير في اتجاه واحد من القوى إلى الضعيف. أما الكوكبة أوالعولمـــة في الرؤيا الليبرالية التي يروج لها الغرب بصفة خاصة، فهي عملية إلحاقيـــة انتقالية بمعنى أنها عملية تقسيم العالم إلي **عالمين** : عالم القوى الكبـــرى ذي المؤسسات العالمية والشركات الكبرى ، وعالم الدول النامية أو المتخلفة وهذا العالم الأخير ينبغي إن يلحق بالعالم الأول عن طريق فتح أسواقه أمام الـــدول الكبرى وتحديث رؤاه السياسية والاجتماعية والثقافية وطريق الحياة .

إن العولمة وفقاً لهذه الرؤيا الثقافية أساسها أن القوى المهيمنة علـــى النظام العالمي تختار المجالات التي تتمتع فيها بميزة نسبية ، وتركز عليهـــا ، فالتغير هنا مفروض من جانب واحد وفي اتجاه واحد ، فالعولمة – مثلا– في النموذج الأمريكي تعني (الكنتكة) نسبة إلي (كنتا كـــي فرايـــد اتشـــكن) وتعني(المكدنة) نسبة إلي محلات ماكدونالد . فمثل هذه المحلات كما تحمل طريقة تناول الطعام الأمريكية والثقافة الأمريكية ،فإن العولمـــة تقـــوم فـــي الشراكة المتوسطية – كمثال آخر– على أساس فتح أسواق الدول المتوســـطة أمام المنتجات الصناعية الأوربية ولكن ليس أمام المنتجات الزراعية ولـــيس أمام القوي العاملة من دول جنوبي البحر المتوسط .والعولمة بين دول الشرق الأوسط معناها فتح الأسواق العربية أمام المنتجات الأمريكية والأوربية التـــي

تغير إسرائيل علامتها التجارية بأن تضع عليها اسمها ثم تعيد تصديرها إلى الأسواق العربية.

إن التربية العربية لابد أن تدرك أن الصراعات المسلحة سوف تستمر وسوف تستنزف الموارد وتهلك ملايين البشر ، لكن هذه الصراعات ستكون بين الضعفاء في النظام العالمي الجديد ، وستكون هادفة إلى تكريس ضعف الضعفاء واستمرار تخلفهم وستكون صراعات بالأصالة عن الذات المتخلفة (أو صراعات بالوكالة) عن الأقوياء .

إن الأقوياء سيقصرون دور الضعفاء غالبا على مجالين :

المجال الأول : استمرار إنتاج المواد الأولية الرخيصة، باستقبال النفايات النووية وتوطين الصناعات الملوثة للبيئة على أرضهم مقابل ثمن زهيد وقد يدفع الفقر كثيراً من دول النظام العالمي الجديد إلى قبول هذا الدور.

المجال الثاني : هو القيام بالحروب المحدودة بالوكالة عن الأقوياء على أراضي الضعفاء التابعين، وذلك لاستهلاك مخزون الأسلحة التقليدية عند الأقوياء أنفسهم ولتأديب بعض الطامعين من الضعفاء أو منع أو تأخير ظهور قوى إقليمية جديدة تستطيع منافسة الأقوياء وما حدث لدول جنوب شرق آسيا وبعض الدول العربية ليس ببعيد..

نحن والعولمة من يربي الآخر:

لم يعد من المشوق الحديث عن (العولمة) بصفتها الخطر الداهم ولكن من الملزم أن نتحدث الآن عن العولمة بصفتها الواقع الذي يلوح في الأفق فالمسلمون كانوا– يوما ما مضى–رواد منهج عولمي فائق النجاح ومازال المنهج باقيا رغم غياب الرواد والذين يبسطون العولمة ، من المثقفين العرب ، بأنها قطار الحياة الذي ينبغي أن نركبه .. هم يسمجون مشروع العولمة في مداه المعيشي فقط ولكن ينبغي أن نتطارح أسئلة عديدة حوله:

هل من أبي ركوب هذا القطار بالتحدي سيبقى في العراء ؟

وإذا ركبنا هذا القطار هل يذهب بنا حيث نشاء أم حيث يشاء هـو ؟ هل سنظل أمام العولمة كالطفل الصغير تربي فينا كما تشاء أم نحـن قادرون على أخلقة العولمة وتربيتها ؟

أسئلة تثار باحثة عن إجابة .

نعـم لقـد سيطر الحديث في العقد الحاضر على موضوع العولمـة واكتساحها للحدود والسيادة والثقافات والحقوق فيما بين الدول وجرى تصوير الموضوع وكأنه شئ جديد وقوة مكتسحة بإرادة أو بدون إرادة وأمـام هـذا التهويل والتعويم زاد الحديث عن العولمة غموضاً وإبهامـا وامـتلأ برمـوز المؤامرة من الأقوى ضد الأضعف . الجديد في الموضـوع هـو أن الـدول (وفقا للنظام الدولي السائد) نظام الأمم المتحدة والاعتراف بسيادة الـدول مهما كان حجمها الجغرافي والبشري بدأت تؤمن بحقيقة أن الصراع البشري التاريخي بين المجتمعات في سبيل السيطرة الاقتصادية والثقافية لن يؤدي إلا إلى هلاك البشرية وخصوصا مع وجود أسلحة الدمار الشامل فالدول تسـتفيد من هذا التوجه حسب قوتها الاقتصادية والتقنية والسياسية والثقافية فمن يملك القوة في هذه الجوانب يستفيد أكثر ومن هذا المنطق فإن دول الغرب واليابان وبعض الدول الصاعدة في أنحاء متفرقة من العالم تحصـل علـى نصـيب يوازي حظوظها من القوة في تلك الجوانب .

ونظرة للواقع العملي الآن في قضية التعامل بين الدول فـإن هنـاك القوة الأمريكية والقوة الأوربية وبسقوط الاتحاد السوفيتي بمساوئه ومحاسـنه والتي من أبرزها تحقيقه لنوع من التوازن أمام القوة الغربيـة فـإن القـوى الغربية الآن دخلت في صراع ساخن من أجل المصالح فيما بينها مما يعظـم فرص التعامل المرن للقوى الأضعف مع تلك القوى الأكبر وبجانب ذلك فإن هناك قوى نامية يحتمل أن تأخذ مكان الصدارة أمام أمريكا وأوربا فالصـين والهند وباكستان بقواها البشرية والنووية تمثل معادلة مهمـة أمـام الغـرب واليابان وبعض الدول الصاعدة تمثل قوى أخرى . وبالنسـبة إلـى العـرب والمسلمين فبجانب الاستفادة من المعادلات السابقة في التعامل مع العولمة،؛،

هناك البعد الجغرافي الشامل والإقليمي وما يحمل من إمكانيات للتعامل الاقتصادي والعلمي فيما بين هذه الدول ويمكنها من التعامل مع العولمة دون خوف ..

العولمة جريمة تذويب الأصالة :

من المؤسف أن كثيرا من المهيمنين على مقاليد السلطة في العالم الثالث لا يدركون أبعاد هذه العولمة التي تتجاوز في بعض الدول موضوعات السياسة والاقتصاد إلى مجالات التربية في محاولة لعولمة البشر أيضا ابتداء من مراحل التعليم الأولى فإذا بموضة المدارس الأجنبية أو ما يسمى بمدارس اللغات تتفشى في المجتمعات النامية لتغيير ألسنة الشعوب ومحاربة اللغات المحلية ونصيب اللغة العربية في هذا النشاط التخريبي كبير جدا بفضل ما دخل على المنهج التعليمي في كل المراحل من تعديلات قضت على النظام التعليمي باللغة والدين . (١)

لا يخفي دعاة العولمة ومن ورائهم القوى الرأسمالية شعورهم بالقلق من المستقبل تخوفا من نهوض مستقبلي لشعوب العالم الثالث ضد مخططات العولمة واستراتيجيتها وتتركز مخاوفهم من مقاومة العالم الإسلامي بشكل عام وفي القلب منه الوطن العربي بشكل خاص قناعه منهم بان الشخصية العربية القائمة العروبة والإسلام تحمل عقائد وقيم ومفاهيم تمثل النقيض للعقائد الغربية والرأسمالية فالإيمان بقوة الحق واعتبار الجهاد لإحقاقه ولردع الظلم فريضة دينية والإخوة بين البشر والتمييز بين الكسب الحلال والمال الحرام والحث على الإنفاق فيما ينفع الناس والنهي عن التبذير .... الخ .

كلها قيم تناقض العولمة التي تتبني الفكرة الصهيونية القائلة بضرورة إقامة جبهة عالمية ضد الإسلام تكون مهمتها الأولى إخضاع الوطن العربي

---

(١) أ . د / عبد الصبور شاهين ، كتاب المعرفة ، مصدر سابق ، ص ١٧ .

ومن ثم العالم الإسلامي عبر تعاون ثلاثي بين قوى الاستعمار الرأسمالي والصهيوني والشعوبيات ...

إن الوطن العربي عاجز عن مواجهة التحديات إذا لم يستلزم العمل على المسارات التالية:

١ – إعادة بناء نظام عربي سياسي وأمني مرده قواعد التضامن والتكامل والتصدي لمشاريع الشرق أوسطية وتكريس توجيهات أساسية من أهمها .

أولا : التسليم من كل قطر عربي بالبيانات العربية والاعتراف بخصائصها الوطنية وتحريم أي تدخل سلبي في شؤونها الداخلية .

ثانيا : استنهاض مؤسسات العمل المشترك لتكون إطاراً يحقق التكامل العربي من أدنى درجاته إلى أعلى مراتبه.

٢ – ضرورة تحقيق تكامل اقتصادي عربي تكون السوق العربية المشتركة منطلقه وتكون غايته تحقيق تنمية عربية مستقلة..

٣ – مواجهة الغزو الثقافي والإعلامي لقوى العولمة مؤسسة على ثوابت الهوية العربية وسماتها الإيمانية والحضارية الجامعة ومسلحة بعقلية انفتاحية على كل منجزات الفكر والعلم والتكنولوجيا نقرأها قراءة نقدية ونتفاعل معها لتطويعها بما يتناسب مع قواعد وضوابط فكرنا فلا نرفضها بداعي الخوف والعداء لكل ما هو أجنبي ولا نذوب فيها بتأثير عقد نقص تجاه الآخرين .

٤ – إطلاق حرية قوى الشعب العربي وتكريس حقه في المشاركة في العمل الوطني القومي على قاعدة الشورية والالتزام الكلي بالحقوق الشورية فالإنسان العربي هو أمضى أسلحة المواجهة للعولمة ومخططاتها وتوجهاتها ..

النظام العالمي الجديد

عولمة الالتفاف بدلاً من المواجهة :

يقول دعاة النظام العالمي الجديد أن ما يدعو إليه النظام هو شكل من أشكال تبسيط العلاقات وتجاوز العقد التاريخية والنفسية والنظر للعالم باعتباره وحدة متجانسة واحدة والنظام العالمي الجديد حسب رؤيتهم هو نظام رشيد يضم العالم بأسره فلم يعد هناك انفصال أو انقطاع بين المصلحة الوطنية والمصالح الدولية وبين الداخل والخارج وهو يحاول أن يضمن الاستقرار والعدل للجميع بما في ذلك المجتمعات الصغيرة ويضمن حقوق الإنسان للأفراد وهو سينجز ذلك من خلال مؤسسات دولية رشيدة مثل هيئة الأمم المتحدة ومنظماتها الدولية والبنك الدولي وقوات الطوارئ الدولية .

وتتضح هوية هذا النظام المغلق في ظهور الفلسفات العنصرية الداروينية، والنيتشوية التي تقسم العالم وبحدة إلي الأنا والآخر وتجعل الذات القومية هي المعيار الوحيد للحكم ولكن النظام الإمبريالي شأنه شأن أي نظام مادي ينتقل من الصلابة إلى السيولة وفي هذا الإطار لا يمكن أن تظهر أنا مقدسة أو غير مقدسة فكل شئ نسبي لا يعرف الثنائية أو التجاوز وقد تبدلت المرحلة السائلة في تحولات النظام العالمي القديم إذ حدثت تطورات تاريخية عميقة لا تشكل لحظة أفاقة أخلاقية تاريخية وكيف يمكن أن نتوقع هذا من حضارة مؤسسة على أساس القانون الطبيعي والفلسفة النتشوية والداروينية وإنما لحظة إدراك ذكية من جانب الغرب لموازين القوى ونحن نلخص أسباب ظهور النظام العالمي الجديد فيما يلي [١]

١ – أدرك الغرب عمق أزمته العسكرية والثقافية والاقتصادية وأحس بالتفكك الداخلي وبعجزه عن فرض سياسته بالقوة.

٢ – أدرك الغرب استحالة المواجهة العسكرية والثقافية والاقتصادية مع دول العالم الثالث .

---

(١) عبد الوهاب المسيري ، مجلة عالم المعرفة ، مصدر سابق ص ١٨ / المصدر السابق ، ص ٢١ .

٣ – أدرك الغرب أنه على الرغم من هذه الصحوة فإن ثمة عوامل تفكك بدأت تظهر في دول العالم الثالث .

لكل هذا قرر الغرب أن يلجأ للالتفاف بدلا من المواجهة وبهذا يستطيع حل إشكالية عجزه عن المواجهة ويتخلى عن تركيزه الواضح وهيمنته المعلنة ليحل محلها هيمنة بنيوية تغطيها ديباجات العدل والسلام والديمقراطية التي ينقلها البعض ببغائية مذهلة .

العولمة : الضرورة والضرر

يري كثيرون أن العولمة ما هي إلا الاستعمار بثوب جديد ثوب تشكله المصالح الاقتصادية ويحمل قيما تدعم انتشار تلك المصالح وترسيخها، إنها الاستعمار بلا هيمنة سياسية مباشرة أو مخالب عسكرية واضحة، إنها بكل بساطة عملية يدفعها الجشع الإنساني لهيمنة على الاقتصاديات المحلية والأسواق وربطها بأنظمة أكبر والحصول على أكبر قدر من المستهلكين وإذا كان البحث عن الأسواق والسعي للتسوق مطلبا إنسانيا قديما وحيويا ومروعا فإن ما يحدث هنا يختلف في أنه بحث يمارس منافسة غير متكافئة وربما غير شريفة من ناحية، ويؤدي من ناحية أخرى إلى إضعاف كل ما قد يقف في طريقه من قيم وممارسات اقتصادية وثقافية .

إن الجانب الأوضح للعولمة الثقافية بجانبيها هو اللغة ففي هذه الخصيصة الإنسانية الكبرى تحتدم معركة المؤثرات، وتصطرع حركتها، الهجوم على الثقافة والدفاع عنها أما مشاهد هذه المعركة فترتسم في حياتنا اليومية ونتاجنا الثقافي من ناحية أخرى وسأقف عند هذين الجانبين وقفة ترتكز على ما يلي:

أما جانب الحياة اليومية فمظاهره واضحة قريبة للعيان في مدننا وقرانا في مناهجنا التعليمية وفي مقروءاتنا من صحف ومجلات، في وسائل الإعلام وفي اللوحة الإعلانية والتجارية هذه المظاهر لا تنفصل أو تختلف عن مظاهر اللباس التي تحيط بنا والتي تدفع بشبابنا وشاباتنا إلى اللباس

الغربي من قبعات وأحذية وما إليها أو إلى الاستماع إلى موسيقى الـروك أو الراب وغيرهما وتجعلهم يألفون أسماء الممثلين والمطربين الغربيين بقدر مـا يعرفون أسماء الممثلين والمطربين العرب وربما بألفة أكثر.

لكن هل تختلف هذه المظاهر الثقافية غير العالمية عما يفعله كاتب ما حين يتبنى شكلا أدبيا غربيا أو حين يتبنى ناقد أو مفكر منهجا فكريا غربيا ؟ ...هذا سؤال ملح لكن لا ينبغي التعجل في الإجابة عنه فثمة أوجه شبه وأوجه اختلاف تقتضي التروي والتأمل ففي الثقافة العالمية تحدث العولمة أيضا ولكن حدوثها هنا ذو طبيعة مختلفة إلى حد ما كما أنه له في بعض الأحيان حاجة لا غنى عنها وذلك على عكس ما يحدث في الثقافة الشعبية أو غيـر العالمـة.. وتدخل العولمة إذا إلى ثقافتنا عبر طريقين بـارزين واع ولا واع وينسـحب ذلك إلى جانبي الثقافة المشار إليهما ثقافة المثقفين أو ثقافة الخاصـة وثقافـة عامة التي لا تتوقف حدودها عند غير المثقفين وإنما تشمل المثقفـين أيضـا فمهما توغل الإنسان في التثقيف والعلم سيظل نتاج ثقافة شعبية تسكنه وتشكل لا وعيه، لكن هذا الجانب اللاواعي في العولمة الثقافية لا ينبغـي أن ينسـينا ذلك الجانب الواعي في تعولم ثقافته الخاصة أو غير الشعبية فبينمـا تمـارس العولمة الثقافية حضورها الشامل لتنتشر لدى مختلف فئـات المجتمـع وفـي مختلف الأشكال من طريقة اللباس إلى تبني المصـطلحات والمنـاهج فإنهـا تحضر لدى البعض كخيار عقلاني متعمد يدرك ما أمامـه مـن مشـكلات وتحديات..

العولمة هي التكنولوجيا والتكنولوجيا هي الخطر :

كلنا مستعد للإقرار بأن للعولمة تأثيرا على الهوية الثقافية ولكن كـل منا لا يعرف إلا هذا الأثر الذي يصدر عن ذلك الجانب من العولمـة الـذي يلمسه بيده ، ومن ثم كان من الطبيعي أن يختلف المحللون لظاهرة العولمـة حول تحديد ذلك الأثر على الهوية الثقافية : ما هو بالضبط ؟ هل هو مهـم أم غير مهم ؟ مرغوب فيه أم غير مرغوب فيه ؟؟....

وهناك من لا يرى في العولمة إلا اتجاها متزايدا نحو تقسيم العمل وانتشار التكنولوجيا الحديثة من مراكزها في العالم المتقدم اقتصاديا إلى أقصى أطراف الأرض ، ومن ثم زيادة الإنتاج أضعافا مضاعفة وهو في سبيل ذلك مستعد للقول بأن هذا الأثر السلبي على الهوية الثقافية تافه أو بسيط بل قد يذهب إلى حد القول بأن الهوية الثقافية سوف تفيد من العولمة بدلا من أن تضار .

هناك أيضا المفتونون بالحضارة الغربية بوجه عام ليس فقط بكفاءتها المنقطعة النظير في الإنتاج المادي، بل وفي نقل المعلومات وتخزينها وتوفيرها لمن يريد الانتفاع بها، وبما حققه الغرب في مضمار التنظيم السياسي والاجتماعي والإنتاج الثقافي ، أولئك المفتتون بالديمقراطية الغربية ، وبالعلاقات الاجتماعية الغربية وبغزارة ونوع الإنتاج الثقافي في الغرب ويتمنون لشعوبهم سرعة اللحاق بكل هذه الإنجازات ويجدون في العولمة السبيل إلى ذلك .

هناك أيضا الكارهون للعولمة، ولكن هناك مائة سبب محتمل لهذه الكراهية.. هناك من يكرهونها لأنها تتضمن مزيداً من الاستغلال الاقتصادي.

وهناك من يكره العولمة لا لسبب اقتصادي، بل لسبب ديني، فالعولمة آتية من مراكز دينها غير ديننا ، بل هي قد تنكرت للأديان كلها ، وآمنت بالعلمانية التي لا تختلف كثيرا في نظر هؤلاء عن الكفر ومن ثم ففتح الأبواب أمام العولمة هو فتح الأبواب أمام الكفر والغزو هنا في الأساس ليس غزوا اقتصاديا، بل غزوا من جانب فلسفة حياة معادية للدين والهوية الثقافية ، فالمهدد هنا في الأساس هو دين الأمة وعقيدتها، وحماية الهوية معناها في الأساس الدفاع عن الدين .

هناك من ناحية أخرى من يرى أن العولمة ليست غزوا اقتصاديا أو غزوا علمانيا بل غزوا قوميا بمعنى تهديد هوية أمة لأمة أخرى، صحيح أن هذا الغزو يتضمن استغلالا اقتصاديا، وصحيح أنه يهدد الأمة التي يجري غزوها، ولكن هذا وذلك ليسا إلا جزأين مظاهرة أوسع وهما مرفوضان لسبب أكبر

وأشمل، فالاستغلال الاقتصادي ليس مطلوبا لمنع الاستغلال بل مطلوب لتحقيق نهضة شاملة للأمة وتحقيق استقلال إرادتها وهي كذلك تهديد للدين، والعقيدة جزء من نمط الحياة بأسرها ولقيم الأمة بصفة عامة التي يعتبر الدين جزءاً منها ولكنه لا يستوعبها كلها وذلك لصالح نمط الحياة في تلك المراكز التي أولد هذا الاتجاه نحو العولمة في نظرة هؤلاء تعتبر حماية الهوية الثقافية هي الهدف الأصلي وليس مجرد وسيلة التصدي للاستغلال الاقتصادي كما أنها هدف أشمل من هدف حماية الدين من العلمانية، والعولمة تتضمن بلا شك اتجاها نحو مزيد من الاستغلال الاقتصادي من جانب الشركات العملاقة للمستضعفين في الأرض وتتضمن قهرا لمعتقدات ومقدسات بعض الأمم لصالح نظرة تتخذ على الأقل موقف اللامبالاة من العقائد الدينية والعولمة بلا شك تهدد أنماط الحياة الخاصة بالأمم التي كانت أكثر انعزالا عن العالم لصالح نمط معين للحياة هو السائد في الدول الأكثر سطوة، بهذا نفهم لماذا تقترن العولمة دائما بدرجة أو أخرى من القهر الثقافي، ذلك أن هذا التقدم التكنولوجي الذي يدفع الإنسان دفعا إلى مزيد من العولمة ينطوي بطبيعته على التهديد للهوية الثقافية أن هذا التقدم التكنولوجي الذي يظنه الكثيرون شيئا محايدا تماما إزاء الهوية الثقافية يحمل دائما خطرا يهدد هذه الهوية .[1]

<u>نحن والعولمة لا مجال للفهلوة :</u>

المستفيدون من العولمة هم الذين يعملون لترسيخ وجودها وهم صفوة الأثرياء وأصحاب الشركات المتعددة الجنسية حيث تتضاعف أرباح القلة على حساب شقاء الكثرة الكاثرة من البشر ..

يدور حول الأرض اليوم أكثر من خمسمائة قمر صناعي تبث في كل اتجاه الصور والأفكار والنماذج والنظم لكثير من جوانب الحياة التي يعيشها العالم الصناعي المتمكن وهذا الفيض الهائل من رموز الحداثة أربك (الوعي) لدى السواد الأعظم من أبناء الشعوب النامية فمن خلال الدعاية المكثفة صار

---

(١) سلسلة كتاب المعرفة ، مصدر سابق ، ص ١٥ .

للناس أحلام جديدة توجه سلوكياتهم وتصوغ تطلعاتهم على نحو تعجز إمكانيتها عن تحقيقها ، كما أن (العولمة) أدت إلى تسريع التحولات الهيكلية في أسواق العمل مما جعل الكثير من الشباب يجد نفسه دون تأهيل لكسب متطلبات التنمية الحديثة ، وبهذا وذلك يتم الآن تفكيك الثقافات المحلية ، وإن العولمة ظاهرة شديدة التعقيد والتداخل ، وإن التعامل معها ينبغي أن يرتكز على مجموعة من (الحلول المركبة) واعتقد أننا بحاجة إلى أن نوزع جهودنا في هذا الشأن على ثلاثة محاور أساسية وهي :

١- المزيد من الالتزام . (١)

٢- المزيد من التفوق .

٣- التحول من التأثر إلى التأثير .

فذلك هو جوهر الريادة الاجتماعية وهو استحقاقها .

عولمة أم أمركة :

علاقة الأمة العربية والإسلامية بالغرب تشبه إلى حد كبير تلك العلاقات التي تسبق التوثيق والإعلان وكأني بهذه المصطلحات المسكوكة بكل عناية إظهار لما هو باطن وإعلان لما هو خفي وعلى ضوء ذلك "فالعولمة " قائمة ومازالت تفعل فعلها من قبل أن تتخلق في رحم الإنجاب المصطلحي وتداولها مجرد إعلان توثيقي للتبعية الماثلة والمتمثلة منذ أمد بعيد ليس إلا والقبول بها أو الرفض لن يغير من الأمر شيئا والأمة ليست بحاجة إلى أن تقرر ركوب القطار ثم تحدد موقعها وفعاليتها في إحدى قاطراتها أو عدم ركوبه المسألة أعمق من هذا" العولمة " قائمة ومنتجاتها قائمة والأمة العربية ، هواها غربي وخطابها الاستهلاكي قومي لا غير ، وحتى عندما شرعت في التوجه إلى الشرق ظلت فعاليتها غربية وحين سقطت الماركسية لم يحتج المشرق العربي إلى شئ من التغير .

---

(١) سلسلة كتاب المعرفة ، مصدر سابق ، ص ٣٦ .

وتداول مصطلح " العولمة "يهم بالدرجة الأولى دول الغرب من الدرجة الثانية ، لقد ارتفعت حدته حين توحد القطب ، وأصبحت الولايات المتحدة اللاعب الوحيد وفي ذلك خطورة استراتيجية وثقافية على الطرف الغربي الآخر المتمثل في أوروبا وفي " فرنسا " بالذات واشتعال الجدل حول " العولمة " يأخذ بعدا آخر يمكن تسميته " بالأمركة " وإذ أقلل من أهمية المصطلح المتداول حديثا فإنما انطلق من حضور المحتوى في السياق العربي والممارسة العربية .المؤكد أن الأمة العربية والإسلامية ليست كأي من الأمم الأخرى إذا وعت رسالتها ومهمتها في الحياة وإمكانياتها وقدرتها على تبليغ مشروعها الحضاري .

إن التبعية القائمة فيها عارض زائل إذ هي ليست بحاجة إلى إنتاج مشروع لم يكن حاضراً من قبل ، وإنما هي بحاجة إلى عصرنة خطابها وتحضير فعاليتها واستعادة مشروعها الخالد الصالح لكل زمان ومكان وهي بمشروعها الإسلامي قادرة علي التفاعل مع الآخر، والإسلام أتم مكارم الأخلاق من قبل ، ولم يتعمد إلغاء الآخر، فالحق ضالته ،والحضارة الغربية تنطوي على إيجابيات كثيرة،وتلك أرضية مشتركة لمداولة الرأي وتبادل المنافع وتعاطى الخبرات . والذين يتصورون إن المشروع الإسلامي لا يستقيم أمره إلا بالقضاء علي الآخر وتخلية المسرح من كل مفردات الآخر يُصعدون حدة التوتر ويعمقون هوة الخلاف . والذين ينادون بوحدة الأديان وحوار الحضارات علي طريقة الاندماج ، ويتناجون بتعدد طرق الخلاص إنما يمارسون الإثم والعدوان ومعصية الرسول .الواقع أن العولمة – وإن بدت أمريكية بالذات – ليست حكرا على الأمريكيين أو الغربيين أو أنه لا ينبغي لها أن تكون أو تبقى كذلك ، وفعلا فإن عددا من الأمم وشعوب العالم تسعى جادة إلى احتلال موقعها في قطار العولمة ، وإلى الاستفادة منها بما يخدم مصالحها القومية عاجلا أو آجلا، من ذلك ما عبر عنه أحد الخبراء الصينيين بقوله: " بالنسبة إلينا نحن الصينيين فإن الظاهرة التي يسميها الغربيون العولمة أو الكونية لا تعني شيئا غير الأهمية المتناهية لآسيا في

التجارة العالمية ، وبالتالي تأكد وضعها المركزي في قلب العلاقات الدولية "
أما اليابانيون فيبدو أن تعاملهم مع ظاهرة العولمة وموقفهم منها يمكن أن تلخصهما الفقرة التالية التي جاءت على لسان أحد الخبراء [1] أيضا إذ قال :

" من جانبنا نحن اليابانيين لاتهمنا كثيرا مشكلة العولمة فلدينا اقتصاد كوني هو في القلب من الاقتصاد العالمي وهو توجه يتنامى بمرور الأعوام ، والأخرى لحل مشكلتنا هي معرفة أين سيكون مركز الاقتصاد ... هل سيكون هذا المركز على سواحل الصين أو اليابان [2] ؟

لذلك ليس أمامنا من طريق – نحن المسلمين والعرب – لتحقيق أية نهضة منشودة سوى التفاعل مع هذا العالم لأن حركة التاريخ هي على الدوام حركة إلى الأمام لا تعترف بالكسالى أو المتخاذلين والمتقوقعين على ذواتهم حسب تعبير الدكتور سليمان العسكري، وتطرح العولمة على عالمنا العربي والإسلامي تحديات كثيرة سياسية واقتصادية وتربوية وثقافية ... الخ .

إن مما لاشك فيه أن أقطارنا العربية والإسلامية قد بذلت جهودا كبيرة في نشر التعليم وتعميمه بين كل الأعمار والفئات دون تمييز بين البنات والبنين والريفيين والحضر، إلا أنها لا تزال دون ما تطمح إليه أمتنا المدعوة إلى التفاعل الإيجابي مع العولمة آخذاً وعطاءً بما يخدم مصالحها ويحقق أهدافها في النمو الاقتصادي والتنمية الاجتماعية والنهضة الشاملة ولذلك فإن معدل الأمية في بلدان العالم الإسلامي مع اختلاف بين دولة وأخرى لا يزال في حدود ٤٥,٥% أي أن نصف سكان العالم الإسلامي تقريبا يعانون من الأمية بالإضافة إلى ما تعانيه التربية والتعليم من قصور كمي مما يستدعي بذل جهود أكبر للتوسع في نشرهما وتعميمهما فإن الجوانب الكيفية أيضا تستوجب اهتمامنا وتتطلب عنايتنا ، إنه لامناص لنا من تطوير تربيتنا وإن تطوير التربية والتعليم لرهين بإصلاح عميق شامل طموح يتناول الأهداف

---

(١) أنظر سلسلة كتاب المعرفة ، مصدر سابق ، ص ٩٦

(٢) المصدر السابق ،ص ٩٦ .

فيدققها، والطرائق والأساليب والوسائل فيجددها ويكفيها مع مقتضيات عصر العولمة وضرورة مواكبتها، والمحتويات فيحدثها ويجودها، والمعلم فيزيد في تدريبه والرفع من شأنه، والمتعلم فيغرس في ذهنه ووجدانه ضرورة التعلم الذاتي المستمر مدى الحياة في هذا المجال ، ولامناص أيضا من تعبئة الجهود المجتمعة وضمان مشاركتها الواسعة في محو الأمية وتعليم الكبار تحقيقا لشعار " التربية للجميع مدى الحياة " وصولا إلي مجتمع التعلم الذي لا يتفاضل فيه الأفراد بما اكتسبوه من علم ومعرفة وأتقنوه من خبرات وذلك مصداقاً لقوله تعالى :

" قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون " [الزمر:٩]

وإنه لمن واجبنا أن نعترف أيضا بأن معظم دولنا العربية والإسلامية لا تزال مقصرة في البحث العلمي في جميع حقول العلم والمعرفة في جميع الحقول والمستويات مما يجعل الوضع العلمي والتقاني فيها بالغ الضعف والعجز ، ومعوقا خطيرا أمام تنميتها وعاملاً أساسياً من عوامل تهميشها وبالتالي حائلا دون انخراطها في حركة العولمة وهو ما يتطلب تحركا استراتيجيا في هذا المجال تطبيقا للمخططات الوطنية التي وضعتها وزارات التربية ولإستراتيجيات تطوير التربية والعلم والثقافة التي وضعتها المنظمتان العربية والإسلامية للتربية والعلوم والثقافة وسائر المنظمات الدولية والإقليمية المتخصصة .

إذا كانت العولمة تحدياً بالغ الأهمية للتربية والتعليم فإنها تعد تحديا أكبر للثقافات وإن أكبر ما يهدد ثقافات الشعوب في عصر العولمة بما فيها الشعوب الغربية التي تمسك بعضها في مفاوضات اللغات بما سماها الفرنسيون " الاستثناء الثقافي" أقول : إن اكبر ما يهدد ثقافات هذه الشعوب هو هيمنة الدولة المتفوقة على سواها اقتصاديا وتقنياً بما توفر لتلك الثقافة من ضخامة إنتاج موسيقى وسينمائي وتلفزيوني ...الخ .

وما حققته لها وسائل الاتصال العصرية من رواج في كل أرجاء المعمورة وما تحمله من قيم مادية ونزعه فردية وتوه استهلاكي مفرط مما

وما حققته لها وسائل الاتصال العصرية من رواج في كل أرجاء المعمورة وما تحمله من قيم مادية ونزعه فردية ونزوه استهلاكي مفرط مما يجعلنا في حاجة كذلك إلى مقاومة الاختراق وحماية هويتنا القومية وخصوصيتنا الثقافية من الانجلاء والتلاشي ، تحت تأثير موجات الغزو الذي يمارس علينا وعلى العالم أجمع بوسائل العلم وإتقانه على حد تعبير المفكر المغربي" محمد عابد الجابري"

والحقيقة أن الدارسين لظاهرة العولمة لم يطمئنوا إطلاقا إلى مقولة (الثقافة الكونية) أو (الثقافة العالمية) لأن الثقافة في جوهرها لصيقة بالمحلية وتعبير عن الهوية وتجسيد بخصوصية التاريخ والتراث واللغة والفكر والمعتقد ، وأن في تعدد الثقافات للاختلاف وقضاء على التنوع الذي أراده الله لعباده وعده آية من آيات وجوده ،

قال تعالى: " ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة " [النحل:٩٣]

وقال تعالى : " ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآية للعالمين" [الروم : ٢٢]

لذلك فإن أمام ثقافتنا العربية والإسلامية في هذا العصر تحديات جسام في مقدمتها أن تقوي على النهوض من ذاتها وتنمو نموا داخليا بجهد أبنائها وذلك بالعودة إلى مخزنها الثري فتحييه وتجدده دون أن يأخذ ذلك منهج أسر الحاضر في قيود الماضي من جهة وبالتفاعل الإيجابي مع الثقافات الأخرى تجنبا للانغلاق والتحجر من جهة أخرى وبدل أن تكون العولمة إفقارا لثقافتنا وعامل تصحر لها لا تقل عواقبه الوخيمة عن عواقب التصحر البيئي القاتل فانه ينبغي لنا أن نغتنم هذه الفرصة المتاحة لنا ولغيرنا من شعوب العالم وهي فرصة العولمة لإقامة حوار حقيقي مع الثقافات الأخرى مما يعرف بهويتنا العربية الإسلامية وقيمنا النبيلة الخالدة وإبداعنا الأدبي والفني الراقي ودورنا الرائد في الحضارة الإنسانية وبما ينتزع الاعتراف بحضورنا باعتباره مصدر

غني للعالم ، مثلما هو العالم مصدر اغتناء لنا وبما يساعدنا على معرفة الآخر وحسن التعامل معه تحقيقاً لخير الإنسانية .

ويري آخرون أن العولمة الغربية وإن تحلت ببريقها الأخاذ إلا أنها لا تحمل في جوانبها قدسية البراءة كأن الذين يهرولون إلى العولمة بدعوى عالمية القيم ، هؤلاء هم الذين استسلموا للغزو الثقافي فأصبحوا أول الضحايا وليسوا بأول الشهداء . لقد وصف الكاتبان الألمانيان "بيترمارتن" و"هارلنشومان " الدور الذي تؤديه العولمة بأنه عمل له خطورته التدميرية ومع هذا فإنهما قد ركزا علي الجانب الاقتصادي في كتابهما "فخ العولمة" .

إنني لا أنادي بمواجهة العولمة ومحاربتها أو التصدي لها تصادمياً بل ادعوا إلي إعادة بناء الشخصية الثقافية للأمة العربية والإسلامية وذلك عن طريق تحديد الفكر القومي وتحويله من الانتماء العرقي إلي الانتماء الثقافي كما أنادي بإعادة النظر والعودة إلي تراث الأمة وثوابتها الثقافية القائمة علي الكتاب والسنة عند إذن نستطيع إن ندخل في حوار مع العولمة واستيعابها والتأثير فيها وعدم التأثر بها.

موقف الإسلام من ظاهرة العولمة

منذ بداية التسعينات شهدت المنطقة العربية والعالم أجمع حملة واسعة رفعت شعار العولمة ،ودارت به باعتباره حقيقة العصر النهائية وسمته البديهية التي ينبغي تقبلها والتكيف مع مقتضياتها كشرط ضروري لمواكبة العصر ومتغيراته ، وفي إطار هذا القهر الدعائي يجد المرء أن مصطلح العولمة يختزل جملة أفكار يراد لنا التسليم بها واستراتيجيات يراد لنا الانخراط فيها ، والسؤال بل الأسئلة الملحة في هذا الشأن والتي لابد من طرحها بأعلى الأصوات هي :

** هل الرؤية الرأسمالية للاقتصاد متوافقة مع رؤيتنا نحن المسلمين ؟

** وهل الليبرالية للحريات منسجمة مع رؤيتنا نحن أهل الدين ؟

** وهل التصور الغربي لنظام الحكم موافق لمبادئنا ومحقق لحاجاتنا ؟

وقبل ذلك وبعده هل التصور الغربي لأولويات الوجود الإنساني متطابق مع رؤيتنا، وماذا نفعل إزاء هذه التغيرات السريعة في ظل عالم أنتجه الغرب ورتب آلياته علي ضوء عوائد فكرية ومادية تكرس وجوده وهيمنته و تحقق مصالحه .

إن الاجابة علي هذه التساؤلات وغيرها يحتم علينا أن نتناول موقف الاسلام من ظاهرة العولمة في أكثر من مجال كمجال الديمقراطية وحقوق الإنسان، والسلام العالمي ، الأمن والإرهاب، وظاهرة البطالة .

وقبل التعرض للإجابة على هذه التساؤلات وغيرها أؤكد وبكل اطمئنان وثقة أن الإسلام لا يضيق بكل مستحدث جديد ولا يتنكر له لأنه يعلم أن الحياة ولود و أنها ليست بالعقيم التي لا تلد ولكنها ولود تحدث كل يوم حدثاً وتأتي كل ساعة بوليد وأن ما تضيفة الأيام والليالي إلي سجل الحياة من مواليد يفسح له الإسلام مكانا في مجتمعة ويرعي له حقه بين مبادئه وأحكامه ، فالإسلام لا يضيق بالجديد ولا يتنكر له مادام هذا الجديد يحقق نفعاً ويسد مطلبا بل إنه يزكي الجديد ويباركه ما دام لا يخالف نصا أو اجتهاداً .

وقد تعرفنا في الفصل الأول من هذا المؤلف علي هذا المولود الجديد في رأي البعض وفي هذا الفصل نحاول الوقوف عند التساؤلات المذكورة في مقدمة هذا الفصل واضعين نصب أعيننا تساؤل مؤداه هل المولود (العولمة) يحقق نفعاً ويسد مطلبا لحاجات الفرد والجماعة حتي تسمح به شريعه الإسلام السمحاء.أم أن هذا المولود في وجودة مفسدة حقيقية للفرد والمجتمع فنرفضه إنطلاقاً من قواعدنا الأصولية (درء المفاسد مقدم علي جلب المصالح) هذا ما سنعرضه ونحكم به بعد بيان موقف الإسلام من الديمقراطية وحقوق الإنسان وظاهرة البطالة ، والسلام العالمي والأمن والإرهاب وذلك من خلال ثلاثة مباحث:•

المبحث الأول : موقف الإسلام من الديمقراطية وحقوق الأنسان وظاهرة البطالة.

المبحث الثاني : السلام والإرهاب بين الإسلام والعولمة.

المبحث الثالث : أخلقة العولمة بالسلوك الإسلامي .

المبحث الأول

موقف الإسلام من الديمقراطية وحقوق الإنسان وظاهرة البطالة

أولا : موقف الإسلام من الديمقراطية وحقوق الإنسان :

إن هدف العولمة المعاصرة ، هو التمكين للنظام الديمقراطي علي النمط الغربي من حيث الأخذ بالتعددية ، وإعطاء فرصة لحرية التعبير ، وابداء الرأي من خلال قنواته. والنظام الديمقراطي كما يطبقه دعاة العولمة عليه مآخذ كثيرة ، منها أنه في أغلب الأحوال لا يمكن من الحكم إلا لفئة معينة ، ويتحكم في الانتخابات فيه رأس المال ، والقبلية والنزعات العرقية والعنصرية والنفوذ،وتؤثر في مصداقيته الأمية والدعم الإعلامي .

ولإضفاء الشرعية علي إقحام الديمقراطية الغربية في حياة الشعوب الأخرى ، ادعى الغرب أن عدم تطبيقها فيه جور علي حقوق الإنسان ، وحقوق الأقليات . ولا شك أن " حقوق الإنسان " يمكن أن تقرب بين دول العالم ، إذا طبقت بموضوعية وتجرد. ولكن حقوق الإنسان – كما يطبقها دعاة العولمة – لم ترعي الخصوصية الدينية والثقافية والأعراف الصحيحة للمجتمعات ،بل أصبحت وسيلة للتحيز المقيت .

فعلي سبيل المثال ، حقوق الإنسان – كما تطبق في العولمة – لا تساوى بين حقوق الإنسان الفلسطيني أو البوسني أو الألباني أو الأفغاني ، وحقوق الإنسان اليهودي أو الصربي أو الأمريكي بالأولي، فكلنا نري ونسمع من خلال وسائل الإعلام المرئية والمقروءة والمسموعة ما يفعله الصهاينة بأبناء الأراضي المقدسة ، من قتل وتدمير وتشريد وتدنيس لمقدسات المسلمين والمسيحيين في الأراضي المباركة، ولكن رغم ذلك الكل يصم إذنيه يتفرجون لا يحركهم صوت طفل لاحول له ولاقوة ،ولا صرخة أم أفقدوها ولدها و بيتها وزوجها .

أين دعاة حقوق الإنسان ؟

بل أين هولاكو (أمريكا سيدة البشر) التي نصبت نفسـها شـرطي العالم ؟

أمريكا التى تدعى انها بلد الحريات وحقوق الإنسان والتى أقل ما يقال عنها أنها تكيل بمكيالين .فبينما نراها تحاصر العراق وتقتل أبناءه ، وتحاصر ليبيا ، السودان ، وكوبا وأفغانستان ، نراها فـي المقابـل تمـد المغتصـب " إسرائيل " بكل وسائل البطش والإرهاب لتدمير شعب أعزل ليس له سـوي إرادته ، ودعاء شعوب العالم العربي والإسلامي ، وقبل ذلك كله إيمانه بربـه وعدالة قضيته ٠

هذه هي العولمة التي تريدها أمريكا ، وقد طالعتنا وسـائل الأعـلام بانسحاب أمريكا وتهديد دول الاتحـاد الأوربـي بالانسـحاب مـن مـؤتمر العنصرية المنعقد في جنوب أفريقيا مؤخراً لمجرد أن المـؤتمر سـيتعرض لإدانة إسرائيل بسبب ما تفعله في فلسطين المحتلة من قتل وتشـريد وتـدنيس لمقدسات المسلمين والمسيحيـين ٠

أهذه هي العولمة وحقوق الإنسان كما يروج لها دعاة العولمة ؟ بـل كما تسمح في ظل العولمة بالتحيز ضد يهود الشرق في إسرائيل ، ولكنهـا لا تسمح بمقاومة المنحرفين عن نظام المجتمع في الكثير من بلدان العالم .

وبالنسبة لنا نحن المسلمين ، فإن لدينا الأفضل والأنسب لحياة البشـر جميعاً ، وهو نظام الإسلام الذي يقوم الحكم فيه علي الشوري والعدل وتطبيق شرع الله . والشوري وسيلة للوصول إلي الرأي الأصوب لأنه رأي الجماعـة والجماعة هنا لا يقصد بها الأغلبية المطلقة ، كما هـو الحـال فـي النظـام الديمقراطي الذي يعتمد علي الأغلبية العدديـة وحـدها ، ولكـن المقصـود بالجماعة هنا الجماعة المؤهلة للاستشارة ، ومن أهم ما ينبغي أن يتوفر فـي هولاء أن يكونوا ممن يتقون الله في القول والعمل ، ويعملون علـي تحقيـق مناهجه في الأرض ، وأن يكونوا ممن لديهم العلم والخبرة والكفايـة، فيمـا يستشارون فيه ، وبناء عليه فإن المستشار في الإسلام يصدق الحاكم القول .

أما عن مدي صواب ما يشير به علمه وخبرته يؤهلانــه – بعــد توفيق الله – للوصول إلي الصواب . ومع ذلك فهو بشر يخطــئ ويصــيب ، ولكنه يتحري الصدق والصواب في كل حــال ، وجماعــة الشــوري يــذكر بعضهم بعضا ، ويتناصحون ويتحاورون ويرجعون إلي الكتاب الكريم والسنة المطهرة فيما استشكل عليهم من أمور . قال سبحانه وتعالي عن المســلمين : " وأمرهم شوري بينهم " { الشوري ٣٨ }

وقال لنبيه صــلي الله عليــه وســلم " وشــاورهم فــي الأمــر " { آل عمران : ١٥٩ } .

وفي التاريخ الإسلامي صور من استعمال الرسول صــلي الله عليــه وسلم والمسلمين للشوري في اتخاذ القرارات ، كما في حفر الخندق في غزوة الخندق، وفي خروج المسلمين في غزوة بدر لمقابلة الكفار ، وفــي معاملــة أسري بدر .

ويعتمد العدل في الإسلام علي المنهج الشرعي وعلي تطبيق الحدود ، أما المنهج فهو شريعة الله ، وقد قامت الشريعة علي العدل مع الــنفس فــي داخل الأسرة وفي ساحة القضاء ، وعلي مســتوي الرعيــة ، وحتــي مــع المخالفين في العقيدة ، ومع من نحبهم ومن نكرهم .

قال الله تعالي : " يا أيها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقســط ولا يجرمنكم شنئان قوم علي ألا تعدلوا أعدلوا هو أقرب للتقوي واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون " { المائدة : ٨ } .

وقال تعالي : " إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربي وينهي عن الفحشاء والمنكرُ والبغي يعظكم لعلكم تذكرون " { النحل : ٩ }

وقال تعالي : " إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانــات إلــي أهلهــا وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل" { النساء : ٥٨ }

وتطبيق الحدود من الدعائم المهمة لتحقيق العدل في الإسلام ، ومــن أهم أسس استقرار المجتمع المسلم .

قال تعالي : " ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب " { البقرة ١٧٩ }

وقال تعالي : " وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له " { المائدة : ٤٥ }

وبين نبينا محمد صلي الله عليه وسلم قواعد للعدل والمساواة ستظل نبراساً يستضيء به طلاب العدل ومريدوه علي مر الزمان. وذلك حين جاءه من يستشفع في حد من حدود الله ، فأقسم بالله لو سرقت ابنته فاطمة لقطع يدها . وقال عليه الصلاة والسلام : " كلكم لأدم و أدم من تراب ، ولا فضل لعربي علي أعجمي ، ولا لأبيض علي أسود، ولا أسود علي أحمر إلا بالتقوى " { متفق عليه }

وقد ضرب الحكام المسلمون أمثلة للعدل مع النفس ومع أبناء الرعية المسلمين وغير المسلمين ، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحكم لنصراني من مصر قصاصا .

وهذا علي بن ابي طالب رضي الله عنه يقاضي نصرانياً أخذ درعه وهو أمير المؤمنين –فيحكم القاضي للنصراني بالدرع ، لأن أمير المؤمنين ليس عنده بينة .

وولي الأمر الذي يحكم بشرع الله المؤسس علي الشوري والعدل ، له واجب الطاعة علي المسلمين .

قال تعالي : " ياأيها الذين أمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلي الله وإلي الرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خيراً وأحسن تأويلاً " { النساء ٥٩ }

ويبين أبو بكر رضي الله عنه خليفة رسول الله صلي الله علية وسلم وصديقه قواعد العلاقة بين الحاكم المسلم والمحكومين في كلمات بالغة الدلالة بقوله : " إني وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن رأيتموني علي خير فأعينوني

وإن رأيتموني علي باطل فقوموني ، أطيعوني ما أطعت الله فيكم ، فإن عصيت فلا طاعة لي عليكم " .

وقال عن ذلك الإمام مالك : " لا يكون أحد إماماً إلا علي هذا الشرط " وهكذا كانت مبادرة الرعية إلي إبداء النصح واجبة عليهم بمقتضي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومبادرة ولي الأمر إلي طلب المشورة من أهلها واجبة عليه ، للاستدلال علي حكم الله ورسوله من النصوص الشرعية المتعددة ، وللاجتهاد فيما سكتت عنه النصوص . ومع أن التطبيق الديمقراطي – الذي تبشر به العولمة – يستند-كما نعلم إلي دساتير وقوانين و ضعية ، يراد لها أن تعمم علي أمتنا وهي تتعارض في أحيان غير يسيرة مع ثوابتها ومنطلقاتها الفلسفية والفكرية .

وإن من أهم سمات الشوري في الإسلام أنها تنبع من عقيدة الإسلام وشريعته، وهذا يعني أن الشوري لا يمكن أن يتغلب فيها حزب علي حزب أو جماعة علي جماعة لمجرد الكثرة العددية ، ولكن التقويم المبدئي للرأي من حيث التزامه بالعقيدة وانطلاقة من الشريعه ، ثم يأتي بعد هذا الأغلبية العددية

أما في الديمقراطية فإن مرجعية الحرية والعدالة فيها تتأثر بعوامل سياسية وحزبية واقتصادية وإعلامية.

والشوري في الإسلام تتيح للجميع الحوار الحر ومناقشة الحجج والمبررات التي توضح أن قرارا ما أكثر التزاما بمبادىء الحق والعدل ، كما تبين مدي توافقه مع مقاصد الشرعية وأصولهاومبادئها ، أما في الديمقراطية فإن الفرد ليس ملزما بإبداء الرأى ، وقد يعتمد الغياب علي التصويب أو حجب صوته، لأن هذا يحقق مصلحة انتمائه السياسي أو مصلحة فردية.

ومحور الفكر السياسي الذي تبشر به العولمة هو تحكيم الأغلبية العددية أي عدد الأفراد الذين ينحازون إلي رأي معين ، أما الشوري الإسلامية فإنها تجعل الأولوية للعقل والفكر وليس للعدد وحده ، فالأغلبية العددية يمكن الحصول عليها لأسباب كثيرة عارية من الشفافية كما سبق أن بيناه ، ونشاهد أمثلة لهذه كثيرة داخل العالم الإسلامي وفي خارجة ، ومع هذا

يبناه ، ونشاهد أمثلة لهذه كثيرة داخل العالم الإسلامي وفي خارجه ، ومع هذا كله وعلي الرغم من مزايا نظام الإسلام ، فإن العولمة المعاصرة لا ترضى به بديلا عن الديمقراطية ، لأنهم يهدفون إلي صبغ العالم كله بصبغة معينة هم مخترعوها ، وهم الذين يدعمونها لتحقيق أهدافهم ، فالعولمة اتجاه فكري يدعو إلي نشر الفلسفة الليبرالية الغربية لتكون أساسا للتصور الإنساني ، وتعميم النظام السياسي الغربي من الناحية الشكلية ، إلي فتح الأسواق البشرية وإرادتها وفق التنظيمات الرأسمالية الغربية ، وتحت سيطرة المنظمات التي يحكمها الغرب أو اللاعبين علي المسرح العالمي مثل صندوق النقد والبنك الدوليين ، ومنظمة التجارة العالمية {الجات } وإلي إغراق العالم بالمنتجات الغربية الإعلامية والمعلوماتية والترفيهية من خلال فرض سياسات الانفتاح ورفع الحواجز الجمركية ، وإلي تعميم أنماط وعادات العيش الغربية في العلاقات والمأكل ، والملبس ، بل السلوك الشخصي، مثل قضايا الشواذ مثلا والتي تنظر أمام أحدي محاكم الدول العربية الكبري حالياً .

لقد اثبتت الحروب الطاحنة التي نشبت في العصر الحديث ـــ وخاصة في القرن الميلادي العشرين ـــ أن إهمال حقوق الإنسان وإهدارها قد أفضى إلي أعمال همجية ووحشية أنهكت حياة ملايين الناس وحريتهم ، وكان ذلك من الأسباب التي دعت إلي إصدار ميثاق عالمي لحقوق الإنسان سنة ١٩٤٨م وهو ما أشارت إليه ديباجة الميثاق ، ومن أهم ما أفرزته " العولمة " في السنوات الأخيرة زيادة الاهتمام بقضية حقوق الإنسان ، وخروج هذه القضية من الدائرة الوطنية والداخلية في دول العالم إلي الآفاق الدولية واعتبارها مسألة تهم المجتمع الدولي ، ويستطيع أن يتخذ فيها عن طريق منظمة الأمم المتحدة أو الوكالات المتخصصة فيها إجراءات معينة لمراقبة الدول التي ينتشر فيها الإهمال أو إهدار لحقوق الإنسان .

إن مفردات حقوق الإنسان التي نص عليها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان أو التي وردت في اتفاقيتي الحقوق المدنية والسياسية والاقتصادية الصادرتين سنة ١٩٦٦م عن منظمة الأمم المتحدة ، هي حقوق قديمة في

الإسلام اكتسبت مصطلحاً جديداً في المواثيق الدولية المعاصرة .إن الحقوق الاقتصادية التي اتاحتها الاتفاقيتان الصادرتان سنة ١٩٦٦م (وقد عمل بهما اعتبارا من سنة ١٩٧٧م) تقع غالب مفرداتها ضمن الحقوق التي منحها الله للفرد في المجتمع المسلم ، الذي يتكون وفق الولاية المتبادلة بين أفراده من الرجال والنساء .

قال تعالى : " والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض " { التوبة ٧١ }

ومن بين معاني الولاية : النصرة والتعاون وتبادل الرأي والنصيحة ، وهناك مبدأ عام في الإسلام يجعل التكافل الاجتماعي سمة ظاهرة فيه فيكون القادر مادياً وعلمياً مسؤلاعن مساعدة غير القادر لسبب لا دخل له فيه، وفي شأن المال تأتي فريضة الزكاة التي تجب علي أغنياء المجتمع (وفق ضوابط مفصلة ودقيقة ومبسوطة في كتب الفقه) لفقراء المجتمع .

لقد أمر الله تعالي بالزكاة وهي جزء يسير (٢,٥%) من بعض أنواع المال ، يؤخذ من الأغنياء في المجتمع ويرد إلي الفقراء والمساكين فيه ، كما يجري إنفاقه في الأوجه التي تسد حاجة من حاجات المجتمع المسلم .

يقول الله تعالي : " إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل " { التوبة : ٦٠ }

فهؤلاء ثمانية أصناف يمثلون في مجموعهم حالات الضعف والحاجة حين تدهم الفرد أو طائفة من الناس في المجتمع .

ويحفظ الشرع الإسلامي حداً كافيا للمعيشة لكل صاحب رأس المال أو دخل يكفي حاجته طبقا لنفقته وظروفه ، قبل أن يفرض عليه كفالة غيره ، فما يؤخذ من الزكاة إنما يؤخذ من الفائض الذي مضت عليه سنة كاملة دون أن يدخل في نفقات صاحبه ، وذلك علي النصاب الذي عينه الشرع حتى يجب أخذ الزكاة من المكلف بها .

ذلك تحولا كبيرا ، عما كان سائدا في المجتمعات قبل الإسلام من اتجاه المال من الفقراء إلي السادة في المجتمع .

قال تعالي :" كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم " { الحشر : ٧}

فالإسلام يمنع أن يزداد الأغنياء غني وقد يكونون قلة في المجتمع ويزداد الفقراء – وقد يكونون كثرة في المجتمع – فقراً وبؤساً ، وضمان حق العمل مكفول للفرد المسلم القادر عليه ، لأن الإسلام ينهي عن البطالة ، ويرفع من شأن العمل والكسب منه حلالا طيباً ، والفرد المسلم يعمل تحت رقابة المجتمع كله .

قال تعالي : " وقل اعملوا فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون " { التوبة : ١٠٥ }

ويعاون المجتمع الفرد علي إيجاد العمل المناسب إذا تعسر ذلك علي الفرد أو ضاقت سبله . وقد نصح الرسول صلي الله عليه وسلم شخصا بالاحتطاب ، ونصح شخصا أخر بالاتجار و أسلفه مالا لكي يبدأ كسب رزقه وأعد بيده الشريفة آلة العمل لشخص شكا إليه قلة الكسب . وفي أحاديث الرسول صلوات الله عليه وسلامه من العناية والرعاية بالعمل والعامل ما يعد الأساس الشرعي لكافة ما يعطي للعمل والعامل من ميزات بحكم القوانين المعاصرة .

إن العمل لإكساب الرزق والنفقة علي الأهل يكفر الذنوب ، كما جاء في الحديث الشريف : (من بات كالا من عمل يده بات مغفور الذنب) والوصية بالعامل من الهدي النبوي (أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه) [1]

وما ورد من الاتفاقيتين اللتين أصدرتهما الأمم المتحدة سنة ١٩٦٦م بشأن الحقوق الجتماعية والمدنية والسياسية هو القليل مما دعا إليه الإسلام .

---

(١) أنظر موقف الإسلام من ظاهرة البطالة في هذا الفصل .

وما ورد من الاتفاقيتين اللتين أصدرتهما الأمم المتحدة سـنة ١٩٦٦م بشأن الحقوق الجتماعية والمدنية والسياسية هو القليل مما دعا إليه الإسلام .

إن أول ما نزل من القرآن الكريم يفتح أمام المسلم آفاق العلم والتفكير والوصول إلي الحق :

يقول تعالي : " اقرأ باسم ربك الذي خلق " { العلق : ١ }

وللعلم شأن كبير ومكانة عالية وفي الإسلام من قرأ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة عرف منـزلة العلم في الإسلام ، وعلو شأنه وحضـه عليـه ومن ذلك :

قول الله تعالي : " شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلـم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم " { آل عمران : ١٨ }

وقوله سبحانه : " أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك للحق كمن هـو أعمي إنما يتذكر أولوا الألباب " { الرّعد : ١٩ }

وقوله تعالي : " وقل ربي زدني علماً " { طه : ١٤ }

وقوله : " إنما يخشي الله من عباده العلماء " { فاطر : ٢٨ }

وقوله : " قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتـذكر أولوا الألباب " { الزمر : ٩ }

وقوله عز وجل : " يا أيها الذين آمنوا إذا قيـل لكـم تفسـحوا فـي المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا مـنكم والـذين أوتـوا العلـم درجـات والله بمـا تعملـون خبيـر " { المجادلة : ١١ }

وقال النبي صلي الله علية وسلم : " من يرد الله به خيراً يفقهـه فـي الدين " { متفق عليه }

وقال عليه الصلاة والسلام : " من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سـهل الله به طريقا إلي الجنة " { رواه مسلم }

وقال صلي الله علية وسلم : " مثل ما بعثنى الله به من الهدي والعلم كمثـل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشـب

الكثير وكان منها أجادب أمسكت فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا ، وأصاب طائفة منها أخري إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه في الدين ونفعه ما بعثني الله به ، فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدي الله الذي أرسلت به " { متفق عليه }

وقال صلي الله عليه وسلم : " إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له " { رواه مسلم }

وقال صلي الله عليه وسلم : " إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتي إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا " { متفق عليه } .

وقال صلي الله عليه وسلم : " فضل العالم علي العابد كفضلي علي أدناكم "

ثم قال عليه الصلاة والسلام : " إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتي النملة في جحرها حتي الحوت ليصلون علي معلمي الناس الخير " { رواه الترمذي وقال : حديث حسن }

وقال عليه الصلاة والسلام : "من سلك طريقا يبتغي فيه علما سهل الله له طريقا إلي الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ، وإن العالم ليستغفر له ما في السموات ومن في الأرض حتي الحيتان في الماء، وفضل العالم علي العابد كفضل القمر علي سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر " { رواه ابو داود ، والترمذى و ابن ماجة وصححه ابن حبان }[1]

---

(١) راجع (الإنفاق علي التعليم في الإسلام) ، بحث دكتوراه ، مقدم إلي كلية الحقوق ، جامعة القاهرة ١٤٢٠هـ ، المأمون علي عبد المطلب .

والمسلم مطالب ببذل النصح لغيره من أفراد المجتمع " الدين النصيحة " وعلي كل مسلم أن يشارك في الحياة العامة بقدر ما يسمح به علمة وقدرته فأمور المسلمين في المجتمع شوري بينهم .

يقول الله تعالي : " وأمرهم شوري بينهم " { الشورى : ٣٨ }

وهكذا تتكامل قدرات الأفراد في المجتمع المسلم وتتجمع طاقاتهم ، فيكفل الفرد للمجتمع طاقته وجهده بالعلم والعمل ، ويكفل المجتمع للفرد – حين يصيبه العجز أو الضعف – الحق في حياة كريمة وبذلك يتحقق السلام الاجتماعي .

ثانيا : البطالة وموقف الفكر الإسلامي منها :

معني البطالة :

البطالة لغة : التعطل عن العمل ، يقال بطل العامل أو الأجير عن العمل فهو بطال ، ويقال يبطل بطالة أي تعطل فهو بطال ولا يخرج المعني الاصطلاحي عن المعني اللغوي . (١)

وإذا تساءلنا عن العاطل ، من هو ؟ " unemployed" فالجواب الذى يتبادر إلى ذهن أى منا أن العاطل هو من لا يعمل . بيد أن هذا التعريف – من وجهة نظرى – غير كاف وغير دقيق ،لأنه غير حاصر والتعريف لا يعتد به إلا إذا كان جامعا مانعا ضابطا حاصرا ، لأن هناك من لا يعملون ،لا لأنهم لم يجدوا فرص عمل ولكن لأنهم ببساطة لا يقدرون علي العمل ، مثل الأطفال والمرضي ، وكبار السن ، والذين أحيلوا إلي التقاعد ويحصلون علي معاشات ، فهؤلاء لا يصح اعتبارهم عاطلين – لأن العاطلين هم من يكونون قادرين علي العمل ولا يعملون – وأيضا هذا غير كاف لأن هناك فئة الطلبة الذين يدرسون في المدارس الثانوية والجامعات والمعاهد العليا ، ممن بلغوا

---

(١) انظر المصباح المنير في الشرح الكبير للرافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولي، ١٩٩٤م ، ولسان العرب ، مادة بطل.

سن العمل فهؤلاء رغم توافر قدرتهم علي العمل لا يبحثون عن العمل ، لأنهم يفضلون تنمية قدرتهم ومهارتهم بالدراسة بحيث يحصلون علي وظائف أفضل وأجور أعلي بعد تخرجهم مستقبلاً ، فهؤلاء لا يصح إدخالهم في دائرة العاطلين . وأيضا يوجد أفراد لا يعملون لحظة إجراء التعداد أو إحصاء البطالة ولكنهم لا يصنفون داخل دائرة البطالة لأن لهم وظيفة أو عملا تغيبوا عنه بصفة مؤقتة بسب مرض أو أجازة أو أي سبب أخر .

من ذلك يتبين أنه ليس كل من لايعمل يُعد عاطلاً وفي الوقت نفسه ليس كل من يبحث عن عمل يعد ضمن دائرة العاطلين .

والواقع أن هناك شرطين أساسين لتعريف العاطل بحسب الإحصاءات الرسمية هما :-

١ - أن يكون قادرا علي العمل .

٢ - أن يبحث عن فرصة للعمل .

وتأسيسا علي ذلك يجمع الاقتصاديون والخبراء . وحسب ما أوصت به منظمة العمل الدولية "ilo " علي تعريف العاطل بأنه (كل من هو قادر علي العمل ، وراغب فيه ، ويقبله عند مستوي الأجر السائد ، ولكن دون جدوي)

نظرة الفكر الإسلامي للبطالة :

سبق القول أن التعريف الاصطلاحي للبطالة لا يختلف عن التعريف اللغوي في الفقه الإسلامي تعني التعطل عن العمل .

وعن نظرة الإسلام للبطالة توضح الدراسة وتؤكد أن الإسلام يرفض البطالةحيث يري الفقهاء : أن البطالة حتي لو كانت للتفرغ للعبادة ، مع القدرة علي العمل ، والحاجة إلي الكسب لقوته وقوت من يعوله تكون حراما لخبر " إن الله يكره الرجل البطال " [(١)]

---

(١) راجع كشف الخفاء ومزيل الإلباس عم اشتهر من الأحاديث علي ألسنة الناس ، لإسماعيل ابن محمد العجلوني ، مكتبة القدسي ، طبعة مؤسسة الرسالة .ص ٢٩١.

عن ابن عمر قال : " إن الله يحب العبد المؤمن المحترف "[1] وفي الشعب للبيهقي عن عروة بن الزبير أنه سئل ما شر شيء في العالم فقال : البطالة .

والبطالة تهاوناً وكسلاً مع عدم الحاجة مكروهة أيضا وتزري بصاحبها حيث كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه (إذا نظر إلي ذي سيما سأل أله حرفة ، فإن قيل : لا سقط من عينيه [2] أما البطالة لعذر كزمانة وعجز لعاهة فلا إثم فيها ولا كراهة .

قال تعالي : " لا يكلف الله نفسا إلا وسعهاً " { البقرة : ٢٨٦ }

والتوكل لا يدعي إلي البطالة ، فقد مر عمر رضي الله عنه بقوم فقال : " ما أنتم قالوا متوكلون ، قال بل متواكلون ، إنما المتوكل من إلقي حبه في الأرض وتوكل علي ربه " كما أن العبادة ليست مسوغا للبطالة ، لأن في هذا تعطيلا للدنيا التي هي مزرعة للأخرة والتي أمر الله عباده بالسعي فيها .

قال تعالي : " فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور " { سورة الملك ١٥ }

وقال سبحانه : " هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها " { هود : ٦١ } أي كلفكم بعمارتها ، وهذا يتنافي مع التعطل بدون سبب .

ورد أن النبي صلي الله عليه وسلم ، مر علي شخص ، قالوا عنه : إنه كان يقوم الليل ويصوم النهار ، وهو منقطع للعبادة انقطاعا كلياً فقال عليه الصلاة والسلام " كلكم أفضل منه " [3] وغير ذلك من الآيات والأحاديث التي تحث علي العمل . [4]

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط الكبير ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان

(٢) فيض القدير ، ج٢/٢٩٠ برقم ١٨٧٣ .

(٣) أخرجه بن قتيبه في عيون الأخبار ٢٦/١ . طبعة دار الكتب المصرية من حديث مسلم.

(٤) انظر مؤلفنا (الإتفاق علي التعليم في الإسلام) (باب التوظيف) ، مصدر سابق .

وتتساءل الدراسة : هل للبطالة أثر في استحقاق الزكاة ؟ وهل يجب رعاية المتعطلين عن العمل من قبل الدولة والمجتمع ؟

تجيب الدراسة عن الفقرة الأولي من السؤال بما يلي :

إن القادر علي الكسب مكلف بالعمل ليكفي نفسه بنفسه ، وأما العاجز عن الكسب لضعف ذاتي كالصغر والأنوثة والمرض إذا لم يكن عنـدة مـال موروث يسد حاجته ، كان في كفالة أقاربة الموسرين وإذا لم يوجد له شخص يكفله بما يحتاجه فقد حل له الأخذ من الزكاة ولاحرج عليه في دين الله .

وتجيب عن الفقرة الثانية من السؤال بما يلي :

صرح الفقهاء بأن علي الدولة القيام بشئون فقـراء المسـلمين مـن العجزة واللقطاء و المساجين والفقراء ، والذين ليس لهم ما ينفق عليهم منـه ولا أقارب لهم تلزمهم نفقتهم .

وعن وضع الذمي (أهل الكتاب) المتعطل في دار الإسلام يُرى أن الذمي إن احتاج لضعفه يعطي مايسد جوعته من بيت مال المسلمين ،

ففي كتاب الخراج لأبي يوسف ، أن مما أعطاه خالد بن الوليد رضي الله عنه في عهده لأهل الحيرة :" أيما ضعف عن العمل أو أصابته آفـة مـن الآفات ، أو كان غنياً فافتقر ، وصار أهل دينه يتصـدقون عليـه طرحت جزيته ، وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجـرة دار الإسلام

ونخلص مما سبق إلى أن الإسلام يحرم البطالة ، ويأمر الإنسان بأن يـزرع ويعمر في الأرض متي كان صحيحا ، وإلا فالدولة تكفيه من بيت مالها.

المبحث الثاني

الإرهاب والسلام بين الإسلام والعولمة (١)

إن الدعوة إلي السلام في العالم هي دعوة الإسلام ، قبل أن يوجد نظام العولمة، وقبل أن تلتزم دول العالم بمقتضي ميثاق الأمم المتحدة سنة ١٩٤٨ م بعدم الاعتداء وبحل المنازعات بينهما بالطرق السلمية ، فقد أمر الله المسلمين أن يتجهوا إلي السلم إذا رأوا من أعدائهم ميلا إليه ، ودعا إلي الاستجابة لدعوة السلام إذا صدقت نية الطرف الآخر في التوصل إليه :

يقول الله تعالي : " وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل علي الله " { الأنفال :٦١ } ، وينبه الله المؤمنين إلي الحذر من خديعة العدو فيقول : " وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بالنصر وبالمؤمنين " { الأنفال : ٦٢ } .

فالإسلام بذاته دعوة للسلام ، السلام داخل المجتمع الواحد، والسلام بين المجتمعات المتعددة والمختلفة الأعراق والعقائد، ولم ترد لفظة "الحرب" في القرآن الكريم مقرونة بالدعوة اليها أو تمجيدها ، بل جاء ذكرها بأوزارها حين تفرض علي المسلمين قال تعالي : "حتي تضع الحرب أوزارها " { سورة محمد ٤ }

وقد وصف الله تعالي الخارجين علي المجتمع والذين يروعون الناس بغير حق ويجترئون علي أحكام الشرع بأنهم : " يحاربون الله ورسوله " { المائدة : ٣٣ } . وهكذا لم يجعل الإسلام الحرب – وهي ظاهرة اجتماعية قديمة في التاريخ وسيله لتحقيق الخير أو حتي النفع الحقيقي للإنسان ، واستبدل الإسلام بالحرب مفهوما أسمي وأرقي هو مفهوم" الجهاد" ، وهو مفهوم يتسع لبذل الجهد في مقاومة كل شر وعدوان ، بدءا من شرور النفس وأنتها بدفع العدوان وطلب تحقيق العدل والإحسان علي الأرض

---

(١) أرهب فلانا أي خوفه وفزعه ، والإرهابيون وصف يطلق علي الذين يسلكون سبل العنف والإرهاب لتحقيق أهدافهم السياسية . (المعجم الوجيز) مصدر سابق.

وعلي الناس والجهاد ليس حربا يشنها المسلمون علي غيرهم بدافع السيطرة ومد السلطان وإذلال الآخرين واكتساب المغانم .

إن الجهاد في الإسلام له مفهوم ينفي العدوان وينكر التوسع والسيطرة للإستعلاء علي الناس بالقوة ، وهو لا يبيح للمسلم أن يعرض نفسه للهلاك أوما يؤدى إلى إهلاك غيره إلا وفق قيود الشرع ، التي تحدد أسبابا يكون فيها الجهاد ويكون فيها القتال مشروعا فالإسلام لا يعرف الحرب التي يكون فيها الباعث عليها مجرد العدوان ، وطلب المغنم، والتي يحتكم فيها إلى القوة وحدها ، وإنما يعرف القتال دفاعا عن النفس وعن الدين وعن جماعه المسلمين إذا حيل بينهم وبين عباده الله وحده والدعوة اليه .

إن مفهوم الجهاد في الإسلام يستلزم أن تكون الحرب مشروعة وشرعيتها لا تتأتي بحسب أحكام الشرع الإسلامي الا في حالات محددة ، يجيزها الشرع ، تستقر فى أغلب صورها فى حالة الدفاع عن النفس .

قال تعالي : " وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلوكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين " { البقرة : ١٠٩ } ، ثم بسبب نقض المعاهدات ونكث العهود ، والكيد للإسلام والمسلمين اقرأفى ذلك إن شئت قول الله تعالى :

" وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون " { التوبة ١٢ }.

وإن فتنة المسلمين عن دينهم والسعي بالفساد بينهم وتهديد سلامة المجتمع والدولة الإسلامية مما يجيز القتال درءا للفتنة :

يقول الله تعالي : " وقاتلوهم حتي لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا علي الظالمين " { البقرة : ١٩٣ }

ولم تخرج غزوات المسلمين والحروب التي خاضوها في العهد النبوي وعصر الخلفاء الراشدين عن هذه الحالات داخل شبه الجزيرة العربية أو خارجها مع اليهود أو الروم و الفرس .

هذا هو مفهوم الجهاد في الإسلام ، وهو مفهوم يختلف عن مفهوم الحرب بمعناه الواقعي قديما وحديثا ، فمفهوم الجهاد يجعل السلام هو الحالة

الدائمة والثابتة في علاقة المسلمين بغيرهم ، ولا يكون القتال إلا الإستثناء الذي يجب أن يتوفر سببه وحكمته ، ويوجب الله حتي في حالة الجهاد والحرب المشروعة ، أن تكون الحرب معلنة ، وليست غدرا بالآمنين والمسالمين ، وأن يقلل من شرورها ، لقد نهي عن قتال من لا يقاتلون كالشيوخ والعجزة والنساء والأطفال والرهبان والمنقطعين للعبادة ، وحرم الله صورة القسوة والوحشية التي لا مبرر لها ، مثل التخريب الشامل للعمران ، وحرم ان تنتهك حرمة الآدمي حياً اوميتاً كالاعتداء علي الجرحى أو الأسري أو التمثيل بجثث الأعداء ، كل ذلك شرع الله مراعاته من قبل المجاهدين ، فكان بذلك ما نسميه (آداب القتال) أو قانون الحرب.

إن الجهاد في الإسلام وما يتبعه من قتال ، لا يصح أن ينال المدنيين المسالمين ، ولا يجوز أن يكون فيه دمار شامل للإنسان ، وهكذا كان الحال في الإسلام منذ اكثر من ألف وأربعمائة عام ، مما لم تتوصل إليه المواثيق الدولية كمعاهدة "جنيف" ، التي تحمي المدنيين من ويلات القتال ، وتحدد حقوق الأسري والمقاتلين والتي صدرت في عام ١٩٤٩م وفي السنوات الأخيرة ظهرت قضية الإرهاب ، واستأثرت باهتمام المجتمعات والحكومات وتنبه العالم عن طريق منظماته السياسية والأمنية إلي مخاطر هذه الظاهرة التي شملت كثيراً من بلدان العالم ، ولم يسلم من شرورها سوي مجتمعات قليلة ، ومع ذلك وبسبب ظروف سياسية وجهود إعلامية موجهة ، حاولت بعض الجهات أن تنشئ صلة ما بين ظاهرة الإرهاب ، و بين صحوة إسلامية بدأت في العقود الأخيرة من هذا القرن الميلادي ، ومن المحزن أن بلاداً إسلامية – أوقعتها ظروفها السياسية تحت سيطرة الأجنبي أو سادتها الفتن والقلاقل بسبب العجز الإقتصادي أو التخلف الثقافي أو الفتن الخارجية – تعاني وجود هذه الظاهرة مما ساعد أعداء الأمة الإسلامية علي الادعاء بأن الإرهاب له أصل ديني وأنه نتاج الإحياء الإسلامي ، مع أن الظاهرة ليست من الإسلام ولا صلة لها بالدين الصحيح وليست خاصة بالمسلمين بل ربما كانت في بلادهم – مع خطئها وإدانتها إسلاميا – أقل من وجودها وظهورها

في المجتمعات غير الإسلامية ، كما دلت علي ذلك إحصاءات دولية .فالإسلام وفق أصولة ومبادئه يعتبر الأمن من أجل النعم علي الإنسان أمن الفرد علـــي نفسه ودينه وعرضه وماله ، وانتفاء الخوف من العدوان علـــي ضـــروريات حياته وحاجياته .

وفي القرآن الكريم بيان أهمية الأمن وأنه نعمة من الله تقرن بنعمـــة الطعام الذي يحفظ حياة الإنسان ، و بيان أن النعمتين معا تستوجبان عبادتـــه وحده لا شريك له ، والآيات القرآنـــية في ذلك كثيرة ، والتي منها قول الله

تبارك وتعالي : " فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جـــوع وآمنهم من خوف " { قريش : ٣ } .

ويحرم الله العدوان علي النفس الإنسانية ، ويجعل القتل المعمـــد مـــن أشد الجرائم إثـــما وبغياً ، ويبين أن قتل فرد واحد بمثابة قتل للجنس البشري كله .

يقول تعالي : " أنه من قتل نفساً بغير نفـــس أو فســـاد فـــي الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً " { المائدة : ٣٢ }

ويحفظ الشرع الإسلامي حرمة الجسد الإنساني ، فلا يجوز العدوان عليه ولا إتلافه ولا استخدامه في غير ما شرع له ، وهو العبادة والسعي فـــي الأرض بعمل الخير . ويحفظ الشرع الإسلامي نفس الإنسان وجسده ويكفـــل حماية عقله ودينه وعرضه وماله بما فيه من عقوبات زاجرة عـــن العـــدوان علي هذه الضروريات من حياة الإنسان – جسدا ودينا وعقلا ونفســـا – فـــي شريعة القصاص وفي الحدود التي تواجه جرائم الاعتداء علي الدين والـــنفس والمال والشرف والاعتبار.

فالإرهاب إذا عدو الأمن – أمن الفرد وأمن المجتمع – وعدوان علي نعم الله الجليلة علي الإنسان ، وهو إذا ظهر في مجتمع عطل طاقاته وأســـلمه إلي التخلف ، لأن الخائف لا يأمن إذا عمل أن يضيع عمله هباءا فالأمن لازم لتقدم المجتمع المسلم في دينه ودنياه

لقد كانت الفتنة الكبري في التاريخ الإسلامي بسبب الإرهاب ، وأول المجتمعات التي عانت من الإرهاب هو المجتمع المسلم بالذات ، قتل ثاني الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب غيلة وغدرا علي يد مجوسي حاقد علي الإسلام والمسلمين ، وقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه علي يد فئة خرجت علي الشرع الإسلامي وانتهكت محارمه بقتل إمام المسلمين وصاحب رسول الله صلي الله عليه وسلم وأحد العشرة الذين بشرهم الرسول صلي الله عليه وسلم بالجنة .

واقتتل المسلمون مع الخوارج الذين ناصبوا الخليفة علي بن أبي طالب العداء علي الرغم من محاولته نصحهم وهدايتهم إلي الحق ، وقتل هؤلاء الخوارج الإمام عليا وأغلوا في دماء المسلمين ، فكانت الفتنة الكبري التي بدأت في القرن الأول الهجري وما زالت آثارها في العالم الإسلامي حتي اليوم ، صنعها الخوارج وغذاها أعداء الإسلام والمسلمين خلال مسيرة التاريخ الإسلامي ، حتي تفرقت الأمة الواحدة إلي شيع وأحزاب كلهم علي ضلال إلا الفرقة الناجية التي تسير علي ما كان عليه الرسول وأصحابه خيار السلف في هذه الأمة .

إن الإرهاب – وهو مرفوض في الإسلام رفضا حاسما – ينتسب مَن يمارسونه أحيانا إلي الإسلام ، بل يتظاهرون بالغيرة علي الدين وعلي حقوق المسلمين ، وقد يتجاوزون الحد في اتهام المسلمين أفرادا وجماعات بالمروق من الدين ويستحلون دماءهم وأموالهم وأعراضهم ، وهكذا فعل أجدادهم من الخوارج حين اتهموا عليا رضي الله عنه بالخروج من الدين واستحلوا قتل إمام المسلمين بعد أن بايعه الناس ، وبذلك وجهوا إرهابهم إلي المسلمين كافة وإلي أئمتهم خاصة ، ولقد قاتلهم إمام المسلمين حتي قضي علي فلولهم ، وهذا واجب كل مسلم ، لا سيما في هذا العصر الذي ينسب فيه غير المسلمين كل إرهاب وإخلال بأمن المجتمعات إلي فعل المسلمين أو توجيهات الإسلام ، مع أن الشرع الإسلامي وتوجيهاته هو أقوي السبل في مواجهة جرائم الإرهاب .

• *و يري [1] بعض المفكرين الإسلامين :

أن النـــاس فـــي إطـــلاق كلمـــه إرهـــاب طرفـــان ووســـط :

الطرف الأول : أعداء الإسلام ومقلدوهم الذي توســعوا فــي كلمــة الإرهاب فطفقوا يرددونها ترديدا غاليا ويطلقونها إطلاقا علــي كــل ملتزم بدين الإسلام من العلماء الربنيين والــدعاة المصــلحين الــذين يؤمنون بالله واليوم الأخر ويأمرون بالمعروف وينهوْن عن المنكــر ويسارعون في الخيرات ، كما يطلقونها علي غيرهم ممن يدعي أنه من دعاة الإسلام ولكنه يسلك مسالك الحمقي في دعوة الخلــق إلــي الالتزام بدين الإسلام وأحكام شريعته – حسب زعمهــم – وهــذا الإطلاق العام علي أولئك وعلي هؤلاء لا يقره شرع ولا عقل ، بل لا شك أنة إرهاب منهم باسم محاربة الإرهاب والإزراء علــي أهلــه ، المقصود منه تشويه سمعة الإسلام العظيم والحط من قدر أهله وهضم حقوقهم ليصل الأعداء بهذه الدعاية الماكرة المغرضة إلي صد الناس عن الدخول في الإسلام الذي لا حياة طيبة للبشرية في العالم كلــه إلا في ظله ، لأنه الدين الحق والخاتم وشريعته هى الشريعة التى ختم الله بها الشرائع السماوية والناسخة لها والمهيمنة عليها ، ولا يقبل الله دينا من أحد سوى الإسلام ، كائنا ما كان هذا المنتحل نحلة سوى الإسلام من العرب أومن العجم أو من اليهود أو من النصارى أو من غيرهم بهذا جاءت آيات القرآن ٠

قال الله تعالي : " إن الدين عند الله الإسلام " { آل عمران : ١٩ }

وقال سبحانه : " ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فــي الآخرة من الخاسرين " { آل عمران : ٨٥ }

---

(١) الشيخ ديد بن محمد بن هادي المدخلي ، الإرهاب آثاره على الأفراد والأمم ، دار سبيل المؤمنين للنشر والتوزيع ، الدمام ، المملكة العربية السعودية

وقال النبي صلي الله عليه وسلم : " والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار " (١)

وقوله صلي الله عليه وسلم : " والذي نفسي بيده لو كان موسي حياً ما وسعه إلا أن يتبعني " (٢)

هذا ولا يخفي علي العقلاء العارفين بمكر الماكرين من أعداء الإسلام ومقلديهم أن السبب الباعث لهذا الطرف الغالي في تعميم إطلاق كلمة الإرهاب علي كل متدين ، بقطع النظر عن سلوكه وتصرفه ، هو تصرف من يزعمون بأنهم دعاة إلي الالتزام بدين الإسلام وأحكام شريعته – كما أسلفت – غير أنهم ابتكروا وسائل الإرهاب الحسي ليحققوا بها غايتهم المنشودة باسم للدعوة إلي الحكم بشريعة الإسلام فحملوا السلاح في المجتمعات فقتلوا من قتلوا وأخافوا من أخافوا بدون فرق بين الأبرياء والخصوم ، وبعضهم يفعل ذلك جهلا وغرورا وتقليدا لقلة اتسمت بقلة الفقه في الدين عموما وقلة الفهم لمنهج دعوة الإسلام خصوصاً .

الطرف الثاني : غلوا في نفي وجود أي إرهاب أو إرهابين نفيا عاما واعتبروا تداول هذه الكلمة من نسيج اليهود والنصارى ومقلديهم من العلمانيين ، والشهوانيين علي حد تعبيرهم وهؤلاء الغلاة في النفي هم الذين ابتلوا بالتنظيمات السرية والتكتلات الحزبية ضد جميع حكام العالم الإسلامي بعد أن أطلقوا عليهم أنهم كفار أو فساق ظلمة لأنهم يحكمون بغير ما أنزل الله ، ثم انطلقوا في التخطيط للانقلاب عليهم بشتي الوسائل الفوضوية كالاغتيال للحكام ولرجال حكومتهم والتفجير في المنشآت الخاصة والعامة تشفيا وانتقاما وكيدا حزبيا كما يزعمون ، ومن جراء هذه التصرفات انتشرت الفوضي في المجتمعات وحدثت زعزعة الأمن بما أدخلوا من

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ، ونسخ الملل بملته رقم (١٥٣)

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ج / ٣ص ٣٨٧ .

إرهاب حسي وفكري ، وحصل من الاضطراب ما يعرفه الصديق والعـدو في العصر الحديث بسبب التصرفات العارية من البصيرة والمتنكبة لمـنهج الدعوة إلي الله علي الهي النبوي الشريف.

وعن الإرهاب وأسبابه يري كثير من المفكرين والمثقفين أن السـبب تفشي هذه الظاهرة يرجع إلي الفقر والشعور بالظلم .

حيث يري المفكر المعروف الأستاذ الدكتور / مصطفي الفقـي :-[(١)]

لم يطرح موضوع نفسه علي ساحة الفكر السياسي المعاصـر مثلمـا فعـل الإرهاب الدولي خصوصاً في الأسابيع الأخيرة ، وذلك رغم جذوره الضاربة في أعماق التاريخ وجماعته التي اشتهرت في مراحل معينة من تاريخ الشرق والغرب ، فقد عرفت التقاليد الفكرية العربية الإسـلامية حركـة الحشاشـين (ASSASSINS) باعتبارها جماعة إرهابية عاشت فترة في الإمبراطورية الإسلامية وعانت منها رموز الدولة الفاطمية في (القاهرة) كما ذاع صـيتها في أوربا في القرن الثالث عشر من خلال العائدين من الحملات الصليبية في ذلك الوقت .

أما الغرب فقد عرف هو الآخر نماذج أشد حدة وخطـورة وأكثـر تأثيرا وحداثة، بل إنني أزعم أن الحركة " النازية " والتنظيمـات " الفاشـية " اعتمدت كلها علي فكر متطرف وممارسات إرهابية وعلي الرغم مـن هـذه الجذور التاريخية في تقاليد الشرق والغرب إلا أن الإرهاب ظل دائما متجـدد التنظيم مختلف الأسلوب يعتمد علي المفاجأة ويتحرك في أوقات غير متوقعة

وفى السطور الآتية سنحاول البحث وراء هذا الإرهاب لنكشف حقيقته ونثبر غوره.وذلك من خلال دراستنا لهذه الظاهرة وتطورها وذلك بالمتابعة المباشرة والرصد الأمين لكل التحركات علي المستويين الدولي والإقليمـي . ولعل أبرز ما نشير إليه في هذا السياق هو :

---

(١) مجلة الحياة ، طبعة الخليج العدد ١٤٣٥ الثاني من نوفمبر ٢٠٠١م ص ٩)

أولاً : لقد أثبتت تجربة الحربيين العالميتين في القرن العشرين خصوصـاً الثانية منها أن الأوضاع الاقتصادية وتدني مستويات المعيشة وتدهور نوعية الحياة تقف خلف أسباب العنف ، ودوافع الصدام ومبررات الحرب ، والأمر ذاته ينصب بدرجة أكبر على الإرهاب فالطبقات المسحوقة تجد أحياناً جاذبية خاصة للانضمام إلى قوافل العمل الإرهابي وأسبابها في ذلك واضحة ، فليس لديها ما تفقده أولا ثم إن لديها إحساساً عميقا بالظلم وشعورا دفينا بكل ما يدور حولها ، لذلك اكتشفنا دائما أن المنخرطين في تلك العمليات الإرهابية في عدد من الدول الإسلامية كانوا من أبناء الطبقة الفقيرة خصوصـاً المتعلمين منهم حيث يبدو التناقض واضحاً لديهم بين ما عرفوه وبين الواقع الذي يعيشونه .

ثانيـاً : لا تنسحب الملاحظة الأولى بشكل مطلق على أبناء الفقراء وحدهم دون غيرهم بل قد تستهوي عمليات العنف وممارسة الإرهاب أبناء الطبقات الثرية ، فزعيم " القاعدة " هو ابن لواحدة من اكثر الأسر ثراء في الجزيرة العربية والتي جاءت من أصول يمنية تنتمي لمنطقة (حضرموت) المعروفة بذكاء أهلها وحسهم التجاري المتميز ،وقد شغلت أسرته موقع الصدارة في قطاع المقاولات لسنوات طويلة وانتشرت أعمالها خارج الدولة السعودية ولم يكن هناك دافع اقتصادي علي الإطلاق يبرر أن يكون زعيم تنظيم (القاعدة) واحدا من أبنائها بينما نائبه هو واحد جده لأمه أستاذ جامعي ووزير و شقيق لأول أمين عام لجامعة الدول العربية وعائلته حافلة بالعلماء والسفراء وكبار الأطباء ، لذلك فإننا يجب ألا نتصور أن الفقر وحده يمكن أن يكون دافعاً للانطواء تحت مظلة تنظيمات متطرفة تعتنق فكر الجهاد بطريقتها الخاصة وتعتمد العنف الإرهابي كوسيلة وحيدة لمقاومة ظلم ترفضه أو مواجهة تفاوت لا تقبله.

ثالثـــا : إن الأمر في ظني يتجاوز المنبت الإجتماعي الذي تخرج منه قوافل المشاركين في أعمال إرهابية لكي تصل إلي دوافع أخري مستمدة من الظروف الدولية المعاصرة أو المشكلات الإقليمية القائمة ، فضلاً عن أن الفهم الخاص للعقيدة – أياً كانت – يجعل صاحبه مطمئناً إلي ما يفعل واثقاً بنتائج ما يقوم به ، مؤمناً إيماناً كاملاً بأنه يؤدي رسالة دونها الموت ، شهيداً من أجل حق مجاهداً في سبيل عقيدة ولعل أخطر سلاح لدي منظمات العنف الإرهابي هو سلاح قبول الموت بسهولة ومن دون خوف أو قلق .ومن هنا، فإن الإرهاب الانتحاري ، هو أشد أنواع الإرهاب قسوة وخطورة لأن الذي قرر أن يدفع حياته بصورة نهائية ثمناً لتحقيق هدفاً يسعى إليه لن يفكر بالتالي في حياة غيره لأن مفهوم الحياة كلها قد تضاءلت أمامه بحيث أصبحت رؤيته للعالم الآخر هي الأكثر تأثيراً والأشد جاذبية

رابعـا : مخطيء من يظن أن الإرهاب يفتقد إلي مضمون نظري لدي أصحابه فالواقع أن لديهم ذلك المضمون ، ولكن الخلاف هو حول شرعيته من عدمها ، لذلك فإن الكفاح الوطني ضد الاحتلال الأجنبي يمثل الطرف النقيض للعمل الإرهابي فالإرهاب يعتمد علي مضمون ذاتي مغلق ولا يعبر عن قضية واضحة عادلة فضلاً انتهاجه أساليب تطاول الأبرياء علي نحو لا تقره الشرائع السماوية ولا القوانين الطبيعية والوضعية ، أما المقاومة الوطنية فهي ذات مضمون واحد ورسالة محددة وهدف لا خلاف عليه ، فضلاً عن أن القانون الدولي يقف وراءه بدءاً من المقاومة الفرنسية ضد النازي وصولاً إلي المقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال الإسرائيلي .

خامسـا : أن المسافة الواسعة بين ما تؤمن به الشعوب وأمم وبين ما تمارسه دول وحكومات أدي بالضرورة إلي ظهور فجوة كبيرة تجعلنا ندرك أن الإرهاب ابن شرعي للفقر المختلط بالظلم ولست أقدم مبررا أو

أجد ذريعة لظهور العنف الإرهابي ، ولكن خلاصة ما أريد أن أذهب إليه هو أن أقرر صراحة أن المجتمعات الفقيرة أكثر استعداداً لتفريغ العناصر المستعدة للمشاركة في أعمال عنف تستهدف الأقوى والأغنى خصوصاً إذا كان ذلك الغنى في نظرهم – منحازا لطرف معتد يحتل أرض غيره . فليس من قبيل المصادفة أن تكون " أفغانستان " مسرح العمليات الأخيرة ومركز انطلاق تنظيم " القاعدة " من أكثر بلدان العالم فقراً وأشدها بؤساً وأسوأها حظاً ، خصوصاً في العقود الثلاثة الأخيرة حيث استنفذ جهدها الغزو السوفيتي الذي تشكلت من نتائجه مدرسة " الأفغان العرب " التي اعتمدت العنف سبيلاً لتغير الأنظمة السياسية في عدد من الدول العربية ، بعدما أدت دورها في المقاومة الإسلامية ضد الوجود السوفيتي حيث اقترن ظهورها بدعم أمريكي وإسلامي عندما كان الهدف واضحاً والغاية مشروعة .

إنني أعترف بتعاطف شديد مع الشعب الأفغاني الذي دفع فاتورة باهظة التكاليف عندما تحالف عليه الفقر والتوتر والتدخل الخارجي بكل الأنواع والأشكال بل إننا نزيد علي ذلك التعبير عن شعور أفغاني دفين بأن الوجود العربي علي أرضه تحت مظلة إسلامية مشتركة كان جناية عليه وسببا لكارثة لحقت به .

إن درس ما جري في أفغانستان في الأسابيع الماضية يضعنا أمام كم من الحقائق التي يجب عدم القفز عليها أو تجاوز تأثيرها ونجملها فيما يأتي :

أ – إن التعميم خطر كبير كما أن التصنيف خطيئة من نوع آخر ، وقد آن الأوان للتوقف عن سياسة معاقبة الشعوب أو حصارها بدعوى جريمة أفراد منها أو نظم فيها ، وعلي القوة العظمي أن تبحث عن صيغة جديدة بالتعاون مع المجتمع الدولي وفي إطار شرعية قانونية ، لأن شعوبا كثيرة دفعت من أمنها و استقرارها ورخائها ضريبة مزدوجة ، الأولى من ضغط داخلي قهرها ، والثانية من تدخل خارجي سحقها وكان دافع تلك

الضريبة في الحالتين واحداً وهو الشعب الذي يسكن الأرض ولكنة لا يذوق طعم الحياة .

ب – إنني أقر صراحة بأنني لا أشعر بأسف لسقوط نظام " طالبان " إذ لا يمكن أن يتحمس عاقل لنظام يحرم المرأة حق التعليم والعمل ويمنع مشاهدة التلفزيون ويهدم التماثيل التي تركتها أحقاب تاريخية علي أرضه ويمارس كل أنواع العنف الدموي مع محاولة تغطية كل ذلك بشعارات دينية أو تبريرات فقهية مع أن الإسلام براء من كل ذلك فهو دين لا يعرف التعصب ولا يتحمس للتطرف ويؤمن بالعقل ويرتفع بالتفكير إلي درجة الفريضة .

ج – إن الإرهاب سلاح العاجز الذي لا يستطيع أن يواجه خصماً يتوهمه أو عدواً ينتظره ، فيلجأ إلي أسلوب الضربات العشوائية في الظلمات لأن تكافؤ القوي معدوم كما أن القدرة علي المواجهة غير قائمة ، لذلك فإن تقليل الفجوة بين الغني والفقير في نمط جديد لمشروع " مارشال " للدول الأوربية بعد الحرب العالمية الثانية يبدو في حاجة إلي تكرار بالنسبة إلي بعض الدول الأسيوية و الأفريقية ، بل وبعض أقاليم البلقان الأوربية وغيرها من مناطق العالم التي ترزخ تحت وطأة التخلف وتشعر بالمعاناة التي تمهد لظهور البيئة المناسبة لتولد العنف وإنتاج أسباب الإرهاب الدولي كما نعرفها اليوم .

د – إن توقف سياسة المعايير المزدوجة واعتماد سياسات عادلة في الصراعات الدولية وتوقف القوي الأعظم والكيانات الكبري عن الانحياز لدولة بعينها وتشجيعها علي سلب حقوق الغير واغتصاب أرضه ، إن توقف هذة الممارسات سيؤدي إلى نقلة نوعية من التوازن بين الأقوى والأضعف وبين الأغنى والأفقر .

هـ – إن القضاء علي الإرهاب لن يكون إلا باتباع سياسات جديدة ولن يتحقق بمجرد عمليات عسكرية خاطفة أو تغير نظام أو القضاء علي مجموعة ، وإنما يحتاج إلي جهد دولي مكثف وإحساس حقيقي بالتضامن

الإنساني والتوقف عن سياسة توزيــع الأدوار واصــطناع الخصــوم ، والإيمان بأن الإنسان مخلوق واحد في كل زمان ومكان ، وأن الحياة نوع من الشراكة مهما تفاوتت المستويات أو اختلفــت الــديانات أو تعــددت الثقافات .

هذه رؤيتنا إلي الإرهاب ذلك الشبح المخيف الــذي يضــرب ضــربات موجعة طالت أكثر المناطق حصانة ، وأشدها قوة ، وأكثرها ثروة . ويجــب أن يدرك الجميع أن الإرهاب ظاهرة عالمية تجهل أسبابها ولا يمكن علاجهــا بطرق سطحية بل لابد من اجتــثاث جذورها ومواجهــة أســبابها بشــجاعة ووضوح .

وأنا أدرك أن الولايات المتحدة الأمريكية لا تزال جريحة الشعور وتحتاج إلي فترة أطول تستعيد بها التوازن وتحرج من دائرة ١١أيلول (سبتمبر) بكل تداعياته وآثاره الدولية المحلية .

إن الإرهاب قرين للفقر والتخلف ونتاج للشعور بالظلم وتعبير عشــوائي عن معاناة قائمة ، والسبيل الأمثل لمواجهته هو السعي نحو الســلام العــادل والاستقرار الشامل والرؤية الحكيمة لروح عصر مختلف وطبيعة متغيرة .

ويري آخرون [١] أن الإرهاب ممكن تعريفه أولاً بأنه استخدام القــوة للقضاء علي العدو أو تحطيم إرادته واستعباده مــن دون أن يكــون الــداعي الدفاع عن النفس وإنما مجرد الاستمتاع بخضوع العدو وإذلاله فضــلاً عــن الاستمتاع بممتلكاته وثروته .

إذا سلمنا بهذا التعريف يصح أن نتكلم عن نعــوم شومســكي عــن " إرهاب الدولة الغربية " وكلنا نعرف ما فعلــت أمريكــا فــي هنــدوراس ونيكاراغوا وشيلي وما فعلت قريبا في الشرق الأوسط ابتداء من مشاركتها مع بريطانيا العظمي في قلب نظام مصدق في إيران بالتحالف مــع الشــاه إلــي

---

(١) مصطفي صفوان ، مجلة الحياة ، العدد ١٤١٣٥ ، مصدر سابق ، ص ١٠

مساندتها غير المشروطة لإسرائيل إلي إنشاء قواعد عسكرية الي السياسات العقابية التي وصلت إلي حد الرغبة في إبادة العراق أو إلي العصر الحجري إما أن تخضع حكومة هذه البلد لسياستنا أو " نمسح " البلد حكومة وشعباً .لكن في هذا التعريف عيباً أول يتلخص في شدة اتساعه ، بمعني أنه ينطبق علي الجزء الأكبر من تاريخ المجتمعات الإنسانية . فمعظم التاريخ الإنساني تاريخ استعمار وتكوين إمبراطوريات وفتوحات ، ابتداء من فتوحات مصر وأشور وفارس في العصر القديم.ثم فتوحات اليونان والرومان والعرب بعد ذلك ، إلي استعمار الغرب للشرق في القرن التاسع عشر والقرن العشرين والاستعمار الأمريكي في القرن الحالي ، فإذا كانت سياسة بريطانيا العظمي مثلاً ، لما أمر غلادستون بضرب الإسكندرية بالمدافع وغزو مصر ، لا توصف عادة بالإرهاب وإنما بكونها سياسة قوة أو بطش استعماري ، فلا داعي لتغير الوصف إذا تكلمنا عن أمريكا .

الواقع أن الكلام عن الإرهاب في عصر انطلق مع ظهور ظاهرة جديدة غير ظاهرة الدول الاستعمارية ، أقصد هنا ما يعرف تحديدا باسم " الجماعات الإرهابية " .

ومن هنا فإنني أرى أن نضع تعريفا آخر للإرهاب يكون أكثر دقة وأكثر واقعية وأكثر تمشيا مع لغة العصر ومرضيا للقوى المهيمنة وأقترح صوغه كالآتي : الإرهاب هو العمل علي نشر الذعر بين أهل بلد من البلاد إما من اجل قلب نظام الحكم فيه أو للانتقام من سياسته الاستعمارية .هنا يستحسن النص علي أن العلاقة بين البطش الاستعماري والإرهاب ظاهرة حديثة بل معاصرة ، فمحاربتنا الاحتلال الإنكليزي في مصر مثلاً لم تكن إرهابا وإنما كفاح من أجل التحرير ولو أدي إلي قتل بعض جنود الاحتلال ، ووصف حركة كحركة حماس في أرض فلسطين أو حزب الله في لبنان بأنها إرهاب كذب إن دل علي فعلي اعتقاد جنوني من جانب الدولة العبرية في حقها في الاعتداء وأخذ ما للغير من غير جواز الرد علي اعتدائها . المهم أننا في مصر في أثناء كفاحنا ضد الاستعمار البريطاني لم نكن حتي نحلم بضرب

لندن ونشر الرعب بين أهلها ، والسبب بسيط هو أن الكرة الأرضـية كانـت تظهر مترامية الأطراف ، والمسافات بين القارات كأنهـا بـين الكواكـب ، والوصول إلي بلد علي بعد آلاف الأميال كان يلزمه جهـد ووقـت ومـال ، فكيف بتكوين جماعة وتنظيم فيه ؟ فالإرهاب بمعني نشر الرعب بـين أهـل الدولة الامبريالية كان مستحيلاً ظهوره قبل تقلص الكرة الأرضية أو عولمتها

ويرى الباحث بعيدا عن هذا التعريف الساخر الذى سبق عما قريـب أن الإرهاب لفظ يتسع مدلوله ليشمل بجانب الإرهاب المادى الذى يتمثل فـى الاعتداء علي النفس والمال والعرض وأهم من ذلك كلـه اغتصـاب الأرض وأبرز أمثلته إرهاب الدولة الذى تمارسه الدولة العبرية،أقول: يشمل بجانـب ذلك الإرهاب المعنوى المتمثل فى ممارسة القهر النفسى الذى تمارسه القـوى المهيمنة ضد المغلوبين على أمرهم فى هذا العالم بما فـى ذلـك ممارسـات بعض الأنظمة الحاكمة تجاه شعوبها وبخاصة تجاه أصحاب الفكـر والـرؤى الصادقة بغية الحجر على آرائهم ومصادرة أفكارهم.

هنا نقطة مهمة تجب الإشارة إليها هي أنه قبل العولمة كان كل بلـد من بلاد العالم ، سواء كان مستعمراً أو مستعمراً ، له سماته الخاصة يتعرف فيها علي ذاتيته ، وسمات مكونة من كل مقومات الحضـارة ، أي أسـاليب الأكل والشرب والسكن والبناء والحرف واللهو والتعامل مع الطبيعة ... الخ.

ومع ابتداء العولمة ابتدأت السمات هذه تختفي ليسود نمط واحد هـو نمط العالم الغربي ، وبالأخص نمط القوة العظمي يعني الـنمط الأمريكـي ، وبالتالي لم يبق للناس مجال يلقون فيه أنفسهم ويثبتون وجـودهم إلا مجـال العقائد .ومن هنا لم يبق من داع للعجب إذا كانت العناصر أكثر مـيلاً إلـي إتباع سياسة الإرهاب تأتي أولاً من مجال الأحزاب الدينية .

نقطة ثانية لا تقل أهمية عما سبق ذكره هي أنه ما من قوة عسـكرية تحتل بلداً من غير أن تواجه كفاحاً من أجل التحريـر ، وهـذا طبيعـي لأن الارتباط بأرض الوطن ربما كان أقوي مشاعر الإنسان ، أقوي مـن الحـب نفسه .نستطيع أن نقول من غير أي استدعاء للسخرية :إن المرأة يمكـن أن

تلاقي أكثر من رجل والرجل أكثر من امرأة ، لكن كلاهما ليس لهما سوي وطن واحد هو الوطن الذي ولدوا وعاشوا علي أرضه ويوجد فيه تراث آبائهم وأجدادهم ، فأرض الوطن لها في النفوس قداسة فترابها ثري بحب الأبناء ، وإذا كان لكل قاعدة شذوذ ، فإن من شذوذ هذه القاعدة أن يجد الاستعمار من بين أفراد البلاد التى يحتلها عناصر صديقة مستعدة لتطبيق سياسته والتعاون معها فيحكم عن طريقها .

ومن هنا نلاحظ أن العناصر الإرهابية حين تمارس نشاطها ضد الدولة ، لا تستطيع الدولة مواجهة الإرهاب إلا ببطش هو نفسه امتداد للبطش الاستعماري ، ولا تحظى بسند لبطشها إلا المزايدة في الدين بحيث يتبادل الطرفان (العناصر الإرهابية والدولة) الاتهام بالكفر . والدولة في محاربتها الإرهاب لماذا لا تذهب إلي حد الفصل بين الحكم والدين والمصارحة بالعلمانية ؟ لأنها هي نفسها تستمد مشروعيتها من الدين ولأن أكثر العلمانيين أناس مستنيرون لا يقبلون الإرهاب ولا الخضوع لسياسة الاستعمار .

وفي النهاية نسأل : هل الإرهاب مشروع ؟ هذا السؤال مختلف تماماً عن السؤال عن أسباب الإرهاب . انه سؤال عن إرادتنا .

والجواب في رأيي لا يمكن أن يكون إلا الإدانة وإلا امتنعنا عن إدانة الاستعمار نفسه بحجة أنه ظاهرة محتومة يفرضها نزوع الإنسان لاستغلال الإنسان . فكلمة الرئيس الأمريكي " بوش الابن " (من ليس معنا فهو مع الإرهاب) هى في الحقيقة مغالطة رهيبة إذا لم نقل : إرهابية ، والواقع أن أميركا الآن في موقف يحتاج إلي حسم : إما أن تترك الدول الصديقة تواجه مشكلاتها بنفسها وإما أن تدخل في حرب مستمرة مع الإرهاب مهما كسبت أو خسرت من المعارك .

وهنا يأتي السؤال : ماذا يحصل لو أن أميركا اختارت الحل الأول ؟

إنه سؤال لا تقدر أميركا علي مواجهته لأن مواجهته تتضمن احتمال التخلي عن السيادة ، ولسنا نحن أيضاً قادرين لأن مواجهته تتضمن احتمـــال الجهاد من أجل تصور علماني للحكم لا يظهر أننا مستعدون له [١]

فما هو مفهوم الإرهاب : هل هناك مفهوم محدد للإرهاب ؟

اتفقت عليه دول العالم أم أن المفهوم الأمريكى للإرهاب هـــو الـــذى سيطغى ويفرضُ على حكام الشعوب الضـــعيفة فالإرهـــاب وفقـــاً للمفهـــوم الأمريكي ، هو كل ما يهدد مصالح أمريكا وربيبتها إسرائيل فى كـــل بقـــاع العالم خاصة منطقة الشرق الأوسط.

إن مبادىء العدل والمساواة والإنسانية التى أقرتها الشـــرائع أفـــرزت الحوادث الأخيرة أن إعمال هذه المبادىء تحتاج لقوة تقررها وتطبقها ، ومـــا دامت هذه القوة المادية فى أيدى أمريكا (القطب الأوحد) البعيدة كل البعـــد عن مبادىء العدل والإنصاف والمكروهة لدى كل أو أغلب شـــعوب العـــالم لغطرستها ماذا يفعل الضعفاء الذين آمن ولاة أمورهم بشعارات و مسكنات لا محل لها عندما تتعرض مصالح أمريكا لأى هزة هوتركت ثوابت وأسسا آمن بها أجدادنا وآباؤنا وسدنا العالم بأعمالها وتطبيقها ؟

نحن هنا لا نبكي على ما فات ولكننا فى ظل عالم لا يعترف إلا بالقوة عالم أنتجته أمريكا ورتبت آلياته، فماذا يجب علينا نحن فعله حكومـــات وشـــعوبا أصبح من الواضح كوننا مستهدفين ؟ إن أدنى ما يجب فعلـــه هـــو أن نتفـــق الأنظمة والحكومات الإسلامية على مفهوم ما يسمى بالإرهاب ، وبحث أسبابه ودواعيه والعمل على تلافيها ، مع ضرورة التفرقة بين الإرهاب والمقاومـــة المشروعة كمقاومة المحتل والمغتصب والمعتدى فالإرهاب لا وطن ولا دين له. إننا كدول وشعوب إسلامية يجب علينا أن نترجم أقوالنا إلـــى أفعـــال وأن تكون سلوكياتـــنا وسلوكيات إعلامنا وتعليمنا تتفق مع الشرع والعقل الســـليم والمنطق المستقيم ففى رأيى أن من أخطر الوسائل التى تهدد هوية الشـــعوب

(١) مصطفي صفوان ، مصدر سابق .

الأعلام والتعليم هذا هو الداعي الحقيقي للتطرف إذا لم يراع قيمنا ومبادئنا وثوابتنا .

إن أفضل وسائل التصدى لإرهاب الأقوى هو التمسك بقيم الإسلام وثوابته والعمل على تحرير العقل الإنسانى من أفكار وفراغات العولمة الثقافية المصاغة لنا من قبل أناس لا دين ولا خلق لهم .

لقد حفظ الإسلام أمن المجتمع المسلم إزاء المجتمعات الأخرى ، فلم يشرع القتال إلا دفاعا عن الدين والنفس وحفظ المجتمع من الفتنة ، وأمر بطاعة أولى الأمر قال تعالى : "يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم " { النساء : ٥٩ }

ولا يجوز فى الإسلام أن تخرج طائفة من الناس على أمن المجتمع وتهدد إستقراره أو تنزع يدها من بيعة توجب الطاعة ، بل لقد أمر الرسول صلوات الله عليه وسلامه بالطاعة حتى ولو ظهر فى المجتمع ما يعد منكراً ، ما دام يجرى التصدى له بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من العلماء والأمراء ، أو بإنكار عامة الناس ، وما دام المجتمع المسلم يتمتع بحقه فى عبادة الله وحده ، وتظهر فيه شعائر الإسلام ، ويوجد فيه الحاكم المسلم الذى يحفظ الدين ويحمى أرض الإسلام ومصالح المسلمين ، فلا خروج عن الطاعة من الفرد أو طائفة من الناس تروع الآمنين وتنشر الخوف والفزع بين المؤمنين . لقد ذكر الله الخارجين عن الطاعة ، وجعلهم محاربين لله ورسوله وحدد عقوبتهم بخسرانهم فى دينهم ودنياهم

يقول تعالى : " إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم " { المائدة : ٣٣ }

ولقد وضع الإسلام الإرهاب فى عداد أعظم الجرائم : محاربة الله ورسوله والسعى فى الأرض فساداً ، وأوجب على ولى الأمر أن يتصدى له حفاظاً على الدين وعلى حياة المسلمين ، ولا حق لفرد أو جماعة أن تدعى

على الأفراد أو على المجتمع ولاية لا حق لها فيها ، وتكفر غيرهــا أو تقــيم حداً من حدود الله مع وجود الولاية الشرعية للحاكم المسلم ، فالإســلام يقــيم مجتمعاً آمناً مستقراً بعيداً عن كل ما يهدد الناس ويروعهم ، ويصلح المجتمع إذا ظهر ما يعد منكرا" من فرد أو طائفة من الناس بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وبإقامة حدود الله على يد الحاكم المسلم وطبقا" لحكم الشــرع ، ولا مجال فى الإسلام للخروج على المجتمع أو التسلط على الناس والإخــلال بالأمن بحجة الغيرة على الدين أو الرغبة فى الإصلاح ،وهــو مــا يدعيــه الإرهاب فى هذا العصر ، وأصحابه هم شر خلف لشر سلف فى تاريخ الأمة الإسلامية.

وفى ختام الحديث عن موقف الإسلام من ظــاهرة العولمــه أعــود وأحاول الإجابة عن مجمل التساؤلات التى طرحت فى مقدمة هــذا الفصــل والتى يجيب عنها متوافقاً معه جملةً الأستاذ الــدكتور محمــد بــن عثمــان التويجرى : (١)

حيث يرى إننا ملزمون شرعاً ... بأن نؤسس رؤانــا كلهــا ونبنــى مواقفنا على أساس من الهدى الإلهى فإن من واجبنا أن نبحث قبل اتخــاذ أى موقف فى هذا الشأن عن موقف الدين وأن نلتمس غاياته ومقاصده لنجعلهــا الميزان الذى نقيس به والنبراس الذى نهتدى بنوره .

إن أول ما يجب أن نؤكده هنا هو أن الإسلام دين إنسانى عالمى لــم ينحصر فى عرق ولا إقليم ولا حقبة من الزمن ، دين جاء لهداية البشرية كلها وليتفاعل مع كل قضاياها .وما أكثر ما خاطب القرآن البشر كلهم دون تمييز أو تخصيص .

" يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة " { النساء : ١ } إلى غير ذلك من الآيات وهى كثيرة .

---

(١) المستقبل العربي ، العدد ٢٣٥ ، مصدر سابق

وثاني ما يجب أن يؤكد هو أن الإسلام إنما جاء رحمة للعالمين ، وبناء على ذلك فكل ما فيه وما يدعو إليه إنما هو لرحمة البشر وخدمتهم وهدايتهم للخير وما فيه صلاحهم يدعو إليه الإسلام وإن لم يأتي نص صريح في ذلك .

وثالث ما يجب أن يؤكد هو أن الإسلام قد وضع لنا كليات وقواعد بها نهتدي وعلى أساسها نحتكم ، منها في هذا الشأن : إن ساحات المباح أقدم وأرحب من ساحات المحظور ، فالأصل في المعاملات الإباحة. والمصلحة مصدر من مصادر التشريع . ولا تناقض في الدين بين نقل صحيح وعقل صريح . والحكمة ضالة المؤمن حين وجدها فهو أحق الناس بها .

ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح والضرورات تبيح المحظورات ولا ضرر ولا ضرار ولا إكراه في الدين . ولا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلونكم في الدين ولم يخرجونكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم .وغير ذلك من القواعد والكليات والتوجيهات العامة .

ورابع ما يجب أن يؤكد هو أن الإسلام دين الحق يدور معه حيث يدور ، لا يتحزب لفئه ولا طائفة ، ولا يتعصب لقوم دون قوم ، هو دين التجرد من كل الأهواء وهو دين الولاء للحق وحده وإن كان مع الأعداء أو ضد الأقربين . قال ابن تيمية – رحمه الله في اقتضاء الصراط المستقيم في ذكر صفات اليهود الذين تحدث عنهم القرآن :لا يقبلون الحق إلا من الطائفة التي هم منتسبون إليها .. وهذا يبتلى به كثير من المنتسبين إلى طائفة معينة في العلم أو الدين .. فهم لا يقبلون من الدين رأياً .. إلا ما جاءت به طائفتهم .. مع أن دين الإسلام يوجب إتباع الحق مطلقاً .. من غير تعيين شخص أو طائفة .. وأنت تجد كثيراً من المتفقهة إذا رأى المتصوفة والمتعبدة لا يراهم شيئاً ولا يعدهم إلا جُهالاً ضلالاً ولا يعتقد في طريقهم من العلم والهدى شيئاً .وترى كثير من المتصوفة لا يرى الشريعة ولا العلم شيئاً .. وإنما الصواب أن ما جاء به الكتاب والسنة من هذا وهذا حق ، وما خالف الكتاب والسنة من هذا وهذا باطل .

وخلاصة ما يجب أن يؤكد فى هذا الشأن هو أن الإسلام يدعو إلى كل علم نافع ويرحب به ، ويبتهج بكل إنجاز معرفى وصناعى تهتدى إليه الإنسانية مما فيه خيرها ورفاهيتها .وفى المقابل فإن الإسلام يحارب كل علم ضار وينفر منه ، ويحمل كل من سن سنة سيئة إثمها وإثم من عمل بها إلى يوم القيامة ، ويدخل فى ذلك كل من إبتدع علماً ضاراً أو إبتكر إبتكاراً مخرباً .

وعلى هذا الأساس فإن الإسلام يؤيد تأييداً كاملاً كل ما جاءت به المدنية الحديثة من علوم ومخترعات مما فيه نفع للناس ، وهو إن كان يحث المسلمين على أن يكونوا الرواد فى الخير كله وأن يكونوا الهداه للبشر فى كل سبل الحياة ، فإنه لا يضيق على الإطلاق بأن يأتى الخير على أيدى غير المسلمين ، بل يفرض على المسلمين أن يحتفوا بالحق والخير ويبتهجوا بهما أينما كانا ومما كانا . ولا يقتصر هذا على العلوم التطبيقية والمنجزات التقنية وحدها كما قد يتبادر إلى بعض الأذهان ، بل يمتد إلى كل مجالات المعرفة والحياة بأسرها ".فكل ما فيه نفع وخير مما لا يتعارض مع الدين فهو من الدين تبعا" وإن كان من عند غير المسلمين بل وإن كان من عند أشد الناس عداوة للمؤمنين .

وفى المقابل فإن الإسلام لا يرضى الشر والفساد وإن كان من عند المسلمين أنفسهم بل هو يمقتها من المسلمين أكثر من سواهم . إن الإسلام يؤكد الوحدة الإنسانية ويدعو إلى التعايش السلمى بين الناس ويحرم التسلط والظلم ويجعله قريناً للشرك بالله .وإن من أعظم ما نادى به النبيون إفراد الخالق وحده بالعبودية والمساواة بين الناس . كما أن من أعظم مسؤوليات الإنسان فى التصور الإسلامى عمارة الأرض الناتجة من مسؤولية الاستخلاف ، ولا يمكن أن تتم العمارة الحقة إلابنشر السلم وقيمه وبالتعاون البناء بين الناس وبالتكامل فى جميع جوانب العيش . وبناء على ذلك فإن كل تنظيم دولى فيه خدمة للإنسانية وتيسير لسبل عيشها ، وكل ترتيب عالمى فيه تقريب بين الأمم وتحقيق للتكامل بين إمكاناتها وتبادل مثمر للمنافع بين

الشعوب ، فإنه ليس فقط مما يقره الدين بل هو ما يدعو إليه ويسعى إلى تحقيقه .

لكن الإسلام فى المقابل يرفض رفضاً قاطعاً ويوجب الجهاد ضد كل تسلط دولى لبسط نفوذ الأقوياء على الضعفاء رغماً عن إرادتهم ، ولسلب ثروات المستضعفين ونهب مقدراتهم وتدمير كياناتهم ، وإن لبست تلك الأعمال لباس الشرعية الدولية وتمت من خلال برامج صندوق النقد الدولى واتفاقات منظمة التجارة العالمية ،وإن الإسلام يدعو إلى الحرية بجميع أنواعها بدءا من حرية الإعتقاد إلى الحرية الفردية فى السلوك ويجعلها شرطاً للإيمان وأساساً للتطور والنمو فى جميع مجالات الحياة ، وهو وإن كان يضع ضوابط وموجهات قيمية وأخلاقية للحرية بالنسبة لأتباعة ، فإنه يصون حقوق الآخرين فى الإختلاف صوناً كاملاً ويجعل من أوجب واجبات المسلمين الدفاع عن تلك الحقوق وحمايتها ضمن منظومه من التوازنات بين حقوق الجماعات وحقوق غير المسلمين والحقوق الخاصة والحقوق العامة وحقوق الأفراد وحقوق الجماعات .

وبناء على ذلك فإن الإسلام مع كل تفتيح للنوافذ ورفع للقيود فى مجالات الفكر ومع كل توصل إنسانى بناء فى البحث عن الحقيقة والتلاقح بين الآراء والجدل بالتى هى أحسن ، ولكنه مع ذلك لا يقبل على الإطلاق أن تستغل الحرية لنشر التضليل والتخفيل ولا أن يعم الفحش ولا أن تلبس مؤسسات الإستخبارات والتجسس لبوس مراكز البحث العلمى أو أن يتقمص العملاء ثياب العلماء .

وفى الجانب الآخر فإن الإسلام على سبيل المثال يرحب كل الترحيب بالتقنية التى مكنت من البث التليفزيونى الفضائى والتطور فى علوم الإعلام والمعلوماتية والإخراج التليفزيونى والسينمائى ويوجب استثمارها لما فيه خير البشرية من التنوير والتواصل الثقافى والحوارالحضارى البناء بل والترفيه المشروع ، ولكنه يحرم ويجرم كل ما تتضمنه القنوات الفضائية من تضليل أو فساد أو مجون .

وبعد هذا كله : هل العولمة مما يقبله الدين ؟

ان الإجابة بلا شك تستدعي التفريق بين معطيات الحداثة المادية وبين المشروع الحضاري المنظم ، بل وتستدعي داخل المشروع نفسه التفريق بين ما يحقق مصلحة الإنسانية وما لا يحقق إلا مصلحة فئة على حساب الآخرين

إن الأمر الذي لا لبس فيه هو أن العولمة كما هي مطروحة من قبل المتنفذين في الغرب ليست عولمة تتشكل من تلاق متكافىء بين المجتمعات البشرية ، وإنما هي تعميم لنموذج وقيم غربية على بقية المجتمعات لتحقيق مصالح الشركات المتعددة الجنسيات والمتنفذين في الغرب ، وهي ليست فتحاً إنسانياً يبشر بمستقبل أكثر سعادة ورفاهية للناس أجمعين ، وإنما هي في كثير من جوانبها نذير شؤم وفساد كبير ما لم يتصد لها المصلحون في كل مكان .

يقول السيد "مهاتير محمد "رئيس وزراء ماليزيا وهو من أقدر من خبروا العولمة عن قرب سواء من الناحية المعرفية أم من الناحية السياسية والإدارية ، يقول في محاضرة ألقاها في الرابع والعشرين من شهر يوليه عام ستة وتسعين وتسعمائة وألف : " إن العالم المعولم لن يكون أكثر عدلاً ومساواة، وإنما سيخضع للدول القوية والمهيمنة . وكما أدى إنهاء الحروب الباردة إلى موت وتدمير كثير من الناس فإن العولمة قد تفعل الشيء نفسه وربما أكثر من ذلك ، في عالم معولم سيصبح بإمكان الدول الغنية المهيمنة فرض إرادتها على الباقين ، الذين لن تكون حالهم أفضل مما كانت عليه عندما كانوا مستعمرين من قبل هؤلاء الأغنياء" (١)

إن هذا الكلام الخطير لن يصدر عن متزمت أعماه الغلو عن رؤية ما وراء قدميه ، ولا من شيوعي ديماغوجي أغشاه الضلال عن رؤية الحق ، ولا من ساذج لم يدرك من الوجود إلا ظاهرة البسيط ، وإنما هو كلام صادر

---

(١) العولمة والهوية والثقافية ، بحث مقدم إلى ندوة العرب والعولمة التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت عام ١٩٩٧ ، ص ٩٨

من مناظر مستنير ورجل دولة مسؤول وشخصية مـن أكثـر الشخصـيات السياسية والثقافية احتراما فى العالم ولذلك فهو جدير بالتأمل العميـق حـرى بإستثارة الحيطة والحذر .

وإذا كان فى أوساط المثقين المسلمين من يجد حرجا" فى تصور آثار مدمرة للعولمة الثقافية ، فإننى لا أجد خيراً من بحث الأستاذ عبد الإله بلقزيز المعنون بـ " العولمة والهوية " لكشف الحقيقة فى هذا الشـأن ، يقـول فـى حديثه عن جدل العدوان والمقاومة الثقافيين :

ليس صحيحاً أن العولمة الثقافية هى الانتقال من حقبة ومـن ظهـر الثقافات الوطنية والقومية إلى ثقافة عليا جديدة هى الثقافة العالمية أو الثقافـة الكونية ، على نحو ما يدعى مسوغو فكرة العولمة الثقافية بل إنها بـالتعريف فعل إغتصاب ثقافى وعدوان رمزى على سائر الثقافات .

إنها رديف الاختراق الذى يجرى بالعنف المسلح بالتقانـة . فيهـدر سيادة الثقافة فى سائر المجتمعات التى تبلغها العولمة . وإذا كان يحلولكثيرين أن يتحذلقوا بإفراط فى الرد على هذا الفهم للعولمـة الثقافيـة ، فيرجمونـه بالانغلاق الثقافى أمام تيارات العصر ، والدعوة إلى الإنكفاء والتشرنق علـى الذات (الهوية ، والأصالة ، ومشتقاتها) وإذا كان يحلو لهم أن يعيدوا علـى أسماعنا مواويل الانفتاح الثقافى – غير المشروط – على الأخر للانتهـال من موارده ومكتسباته وكشوفه المعرفية... إلخ ، فإنه يطيـب لنـا أن نلفـت انتباههم إلى وجوب وعى الفارق بين التثقف والعنف الثقافى من جانب واحد . يعنى الأول الإصغاء المتبادل من سائر الثقافات بعضها إلى بعضها الآخـر ، كما يعنى الاعتراف المتبادل بينها ، ومنه الاعتراف بحق الإختلاف وهو من أقدس حقوق الإنسان ، فيما لا ينطوى الثانى سوى على الإنكـار والإقصـاء لثقافة الغير ، وعلى الاستعلاء والمركزية الذاتية فى رؤية ثقافتـه ، يـرادف الأول معنى التحاور والتفاهم ، بينما يتلازم معنى الثانى مع الإكراه والعدوان

هذا درس بدائي من دروس الأنثروبولوجيا الثقافية المعاصرة حري بدعاة الإنفتاح أن يقروه قبل أن يفتتحوا طقوس التبشير.

وبعد ، فإن الإنسانية فى ظل إنتكاسات المشروعات الوضعية وتخلى المسلمين عن دور الريادة تعيش فى تيه عقائدى لم يسبق له مثيل ، وتعانى من غلبة مادية تهز وتدمر المكونات الوجدانية والروحية لمعظم البشر وتفكك روابط البنى الإجتماعية فى كثير من الشعوب ، وتقود الإنسانية إلى تسابق محموم فى صناعة الدمار وتلويث البيئة وتقزيم قيم العيش وحصرها فى ساحات الشهوات ولا يليق بأمة القرآن ووارثى الرسالة المحمدية وأبناء خير أمة أخرجت للناس أن يقفوا مكتوفى الأيدى والإنسانية تساق أمامهم بل وهم فى مقدمتها إلى الانتحار الجماعى وإلى الإفساد الذى لا يبقى بعده وجود إن أمتنا أمة رسالة ، وإن لنا دورا فى الوجود يجعلنا شهداء على الناس كما كان الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام علينا شهيداً ، وإن ديننا نظام شامل وكامل للحياة بلا شك البلسم لكل معاناة البشر مهما حاول بعضنا تقزيمه وتحجيمه فى طقوس وشعائر محدودة أو تنكر له آخرون وفضلوا عليه ممسوخاً من ثقافات أخرى .

إن الإنسانية كلها تستنجد وتستغيث فخلف ناطحات السحاب وواجهاتها البراقة يقبع فراغ روحى مريع وخواء وجدانى مدمر ، وفى سبيل إنتاج كثير من المواد الكمالية للمترفين فى العالم يشقى عشرات الملايين من البشر فى آسيا وأمريكا اللاتينية وبعض مناطق العالم الأخرى فى سراديب مصانع تخلت عن كل معانى الإنسانية . وفى سعى الرأسمالية المحموم للربح يستغل ضعف ملايين من المهاجرين فى أوروبا وأمريكا ، وتدمر طفولة ملايين الأطفال ممن هم فى سن الثانية عشرة فى استعباد صناعى لم تعرف له البشرية مثيلاً على امتداد تاريخها الطويل . وفى سبيل الترويح غير المشروع عن حفنة من المترفين تسابق الأولوف تلو الألوف من مراهقات روسيا وأوروبا الشرقية والجمهوريات السابقة للإتحاد السوفيتى وغيرها من مناطق العالم المنكوبة ، تسابق الألوف فى سوق النخاسة الحدث الذى تديره المافيا

العالمية فى معظم عواصم العالم وفى كثير من مناطق العالم أكثرها – وللأسف الشديد – يقع ضمن الحدود الإسلامية تسحق شعوب بأكملها فى لعبة تبادل المصالح بين المستكبرين فى الأرض ، وقبل ذلك وبعده تئن شعوب كثيرة من الظلم والطغيان والتسلط ، وتشوه القيم والمفاهيم الإنسانية فالدجل والتضليل يصبحان دبلوماسية ، والنفاق والكذب ليسا سوى علاقات عامة ، والتعاون على الإثم يسمى تبادل مصالح ، والجهاد للدفاع عن المقدسات والنفس والعرض يصبح إرهاباً وتطرفاً عجباً .

إن المسؤولية الأولى فى تصحيح هذه الأوضاع تقع على أمة التوحيد التى حملها الله عز وجل مسؤولية آخر رسالاته وأكرمها بخير رسله ، ولن تستطيع الأمة القيام بمسؤولياتها إلا إذا تمكنت من تطوير مشروع الإسلام الحضارى المتكامل الذى يستجيب للتحديات المعاصرة ، وإذا أعادت بناء وحدتها الذى مزقته الأهواء والانحرافات السياسية . إن ردة فعلنا تجاه مشروع العولمة يجب ألا تقتصر على الشكوى والتحذير ، وإنما يجب أن تتجاوز ذلك إلى الهجوم المضاد بطرح المشروع الحضارى الإسلامى بديلاً للعولمة ، وبتعجيل إنشاء السوق الإسلامية المشتركة ، وبإعادة بناء النظم والبرامج التعليمية والثقافية بما يكفل تحصين جبهاتنا الداخلية من الإختراق المباشر وغير المباشر ، وبتقديم البدائل فى مجالات المعلوماتية والإعلام وصناعة السينما والترفيه ، وقبل ذلك وبعده بإقامة العدل فى مجتمعاتنا الإسلامية وتحقيق النموذج الصحيح للحياة الإسلامية واقعاً مطبقاً للتنظير وعملاً مؤيداً للقول.

وإننى لأناشد القيادات السياسية فى العالم الإسلامى كله أن يتقوا الله عز وجل فى شعوبهم وأن يحموا الأمة من أخطار ما تواجهه من تحديات وذلك بتحقيق الحد الأدنى من التوحد .

وإن مسؤولية الريادة فى هذا الشأن تقع على ريادة المملكة العربية السعودية وجمهورية مصر العربية فهما الأولى والأقدر على تحقيق الغايات فى هذا الشأن ، بإعتبارهما الحصن الإسلامى الصامد فى مواجهة أعداء الحق

كما أناشد العلماء والمفكرين والمثقفين أن يهبوا كلٌ في مجاله لصياغة المشروع الحضاري الإسلامي بكل جوانبه الفلسفية والسياسية والاقتصادية والثقافية والإجتماعية .

ولا يقتصر هذا على الفقهاء والأكثر تديناً منهم ، وإنما يشمل الجميع فالمسؤولية مسؤولية الأمة كلها .

كما أناشدهم جميعاً أن تتضافر جهودهم لدراسة العولمة بكل أبعادها وأن ينوروا الأمة بما تصل إليه استنتاجاتهم .

المبحث الثالث

أخلقة العولمة بالسلوك الإسلامى

تقديم :

لم يعد من المشوق الحديث عن العولمة بصفتها الخطر الداهم ، ولكن من الملزم أن نتحدث الآن عن العولمة بصفتها الواقع الذى يلوح فـى الأفـق فالمسلمون كانوا يوما ما رواد منهج عولمى فائق النجاح ، وما زال المـنهج باقيا رغم غياب الرواد .

والذين يبسطون العولمة من المثقفين العرب بأنها قطار الحياة الـذى ينبغى أن نركبه ، هم يسمجون مشروع العولمة فى مداه المعيشى فقط ، لكـن ينبغى أن نتطارح أسئلة عديدة حوله :

هل من أبى ركوب هذا القطار بالتحدى سيبقى فى العراء ؟

وإذا ركبنا هل يذهب بنا حيث نشاء أم حيث يشاء هو ؟

وهل كل من يركب هذا القطار لابد أن يكون راكبا بليـدا لا يحـرك ساكنا ؟

وهل سنظل أمام العولمة كالطفل الصغير تربى فينا ما تشاء ؟

أم أننا قادرون على أخلقة العولمة وتربيتها إنطلاقا من تراثنا وقيمنـا التى تقر الصواب وترفض الخطأ ؟

إنه بإمكاننا أن نفتح نوافذنا ، وأن نستقبل رياح الآخر ، ولكن دون أن تقتلعنا من جذورنا وتلغى خصوصياتنا وتمارس الوصايا علـين .لقـد أثبـت التاريخ أن القوة الاقتصادية والعسـكرية لا يكفيـان للحفـاظ علـى هويـة المجتمعات إذا تجردت عن أخلاقها فكما قال أحد الحكماء :

من تجـرد عن دين وعن خلـــق فليس يرفعـــه علـم ولا أدب

فالعلم والدين والأ خلاق إن جمعت لأمة بلغوا فى المجد ما طلبوا

لقد برهن الواقع الذى تشهده بعض مجتمعاتنا العربيه والإسلامية مدى الا نحدار الأخلاقى والتدهور المعيشى نتيجة البعد عـن نظامنـا الإسـلامى

العظيم فى مجالات الحياة الاقتصادية ، الاجتماعية ، الثقافية والانحراف سياستنا الاقتصادية والثقافية وراء سياسات وقيم لاتصلح بالمرة لمجتمعاتنا ، إننا يجب أن نعترف بأخطائنا حتى تتصلح أحوالنا ، وإذا كان من برهان على صحة ما أقول فلننظر نظرة عابرة إلى ما جنيناه وجنته شعوبنا من وراء تنفيذ سياسات إحدى أدوات العولمة(صندوق النقد الدولى)

حيث ترتب على اتباع سياسات هذه الأداه وما شابهها ما يلي :

** تدهور أحوال العمالة وزيادة معدلات البطالة بسبب تفاقم أزمة المديونية الخارجية، وهى الأزمة التى نجمت عن الإفراط فى الاستدانة الخارجية وبخاصة قصيرة الأجل ذات التكلفة المرتفعة مما أدى إلى ارتفاع معدل خدمة الدين ووصوله إلى مستوى حرج يهدد انتظام وصول الواردات الضرورية . [1]

وإزاء هذا الحرج لجأت البلاد العربية المدينة الى نادى باريس ونادى لندن لأعادة جدولة ديونها ، وما ارتبط بذلك من ضرورة تنفيذها برامج للتثبيت الأقتصادى والتكيف الهيكلى ، فقد انبثق عن هذه البرامج سياسات نقدية مالية وتوجهات لجتماعية ذادت من معدلات البطالة في هذه البلاد ومن هذه السياسات :

١ – تخلى الدولة عن الألتزام بتعين الخريجين وتجميد التوظف الحكومى

٢– أدى خفض معدل نمو الأنفاق العسام الموجه للخدمات الاجتماعية الضرورية ، كالتعليم والصحة والأسكان الشعبى إلى خفض موازى فى طلب الحكومة على العمالة المشتغلة بهذه الخدمات الضرورية مكذلك أدى تقليص دور الدولة فى النشاط الاقتصادى إلى خفض الاستثمار الحكومى

(١) يكفي للأحاطة بمدى الأفراط الذى حدث فى مديونية البلاد العربية غير النفطية أن نعلم أن حجم ديون البلاد العربية الغير نفطية كان فى حدود ٧ مليارات دولار فى عام ١٩٧٠م ، قفز هذا الرقم الى ١٥٦ مليار دولار ١٩٩٤م وارتفعت خدمة هذه الديون من ٠.٩% مليار دولار فى عام ١٩٧٢م الى ١٦ مليار دولار عام ١٩٩٤م

فى خلق طاقات انتاجية جديدة تستوعب الأيدى العاملة العاطلة باستثناء الإستثمار فى مشروعات البنية الأساسية التى أصبح تنفيذها يعتمد على تكنولوجيا مكثفة لعنصر رأس المال ، وعلى عمالة مؤقتة ، تسرح عقب انتهاء المشروع .

٣- ما أدت الزيادة الكبيرة فى الضرائب غير المباشرة (مثل ضريبة المبيعات) وإلغاء الدعم وزيادة أسعار منتجات القطاع العام والرسوم على الخدمات العامة ، أدت إلى إحداث خفض ملموس فى حجم الدخل العائلى المتاح للأنفاق disposapolincome ، مما أثر فى الطلب المحلى،وأدى من ثم إلى حدوث كساد واضح فى السوق المحلى وتراكم غير مرغوب فى المخزون السلعى لدى القطاعين العام والخاص . وقد نجم عن ذلك خسائر وإفلاسات ضخمة ، ترتب عليها تسريح أعداد لا بأس بها من العمالة .

كذلك لا يجوز أن ننسى أن ارتفاع أسعار الطاقة والنقل والمستلزمات السلعية، المحلية المستوردة (بعد خفض ralution قيمة العملة الوطنية) الى زيادة تكاليف الإنتاج فى مختلف القطاعات فى الوقت الذى لا تستطيع فيه هذه القطاعات أن ترتفع بمستوى الإنتاجية لمواجهة أعباء هذه الزيادة (على الأقل فى الأجل القصير) ... وكان نتيجة ذلك حدوث انخفاض واضح فى الفائض الاقتصادى المتحقق فى هذه القطاعات (وأحيانا تحول الى خسائر) ومن ثم تدهور فى قدرتها الذاتية على التراكم من التوسع فى خطط الإنتاج . وقد أثر ذلك سلبا فى الطلب على العمالة المحلية كما أن تحرير ارادة الاستيراد وخفض الرسوم الجمركية أدى الى تعريض الصناعات المحلية الى منافسة غير متكافئة لم تستطع الصمود فيها أمام المنتجات المستوردة ، مما أدى الى إغلاق وإفلاس كثير من هذه الصناعات ، وتسريح عمالها .

وأخيراً وليس آخرا : نجم عن خصخصة مشروعات القطاع العام موجة تسريح هائلة من العمالة الموظفة فيها وبخاصة العمالة ذات الأجور المرتفعة ، أو خفض رواتب العمال الذين يبقون فى وظائفهم . وقد أصبحت

عمليات الخصخصة التى تجرى الأن على نطاق واسع أكبر مصدر لنمو البطالة فى البلدان النامية ويضاعف من حرج الموقف قيام الأجانب الذين أصبحوا يمتلكون هذه المشروعات بترحيل أرباحها للخارج مما يؤثر فى ميزان المدفوعات وفى القدرة الذاتية للتراكم فى هذه البلاد .

وبمناسبة الحديث عن الخصخصة أرى أن معظم الدول العربيةوالإسلامية سواء بإرادتها أو بدون إرادتها تلجأ بصفة خاصة لصندوق النقد الدولى إحدى أدوات السياسة ذات التأثير للولايات المتحدة الامريكية ومعلوم لدى أهل الاختصاص والمعرفة أن الموافقة على اقراض الدول من قبل صندوق النقد الدولى مصحوب بشروط مجحفة ابرزها أن يصاحب سياسات الدول المقترضة تغير فى الرؤى الاجتماعية والسياسية فضلا عن الاقتصادية ، من هذا التغير المشروط خصخصة الدول لقطاعها العام ومشروعاتها العامة ، بغية الإصلاح الإقتصادى للدول المدينة كما يروج لهذا الذائقون ، ولكن الحقيقة فى رأى من وراء الخصخصة التى يروج لها هو توفير السيولة الازمه لسداد هذه القروض المقترضة من صندوق النقد الدولى والدول الصناعية الكبرى (الغنية) .

والواقع يحدثنا أن الخصخصة المزعومة أفرزت الآتى :

** تفشى ظاهرة البطالة وزيادتها بين المتعلمين وأصحاب الخبرة والكفاءات

** تفشى الجريمة الأخلاقية فى مجتمعاتنا الإسلامية العربية بسبب تفشى ظاهرة البطالة ، الفقر ، وسوء التعليم المدنى الذى أفرز لنا شبابا يعبدون الشيطان ،وآخرين شواذا، وها هى حصيلة أسبوع واحد فى جريدة قومية واحدة بسبب الفقر وتدنى مستوى المعيشة والخصخصة :

* أب يبيع ابنه الرضيع ب ٢٠٠٠ جنيه
* كيميائى يقتل ليجد فى السجن مأوى .
* ١٨ مليار جنيه ناتجة عن نشاطات مشبوهة حسب أرقام البنك المركزى المصرى ، وحصول ثمانية عملاء على " ١٢ مليار جنيه " من البنوك بدون ضمانات .

* أسرة بالكامل يموت شبابها في الثلاثين بالمنصورة لإصابتهم بفشل كلوى ولعدم قدرتهم على تكاليف العلاج ...إلخ .

فضلا عن تهريب الأموال للخارج ، وقضايا نواب القروض ، الحصول على قروض بدون ضمانات وتهريبها للخارج حيث ذكرت إحدى الجهات الرقابية المصرية العليمة أن" ٦٥ مليار دولار" قد تم تهريبها لخارج مصر خلال الفترة من بداية عام ٢٠٠٠ حتى أغسطس ٢٠٠١م [١] و ماذا يقول دعاة العولمة ومروجيها للأخلاق التى يسوق لها دعاة العولمة والمثال الحى محاكمة الشواذ فى مصر : ما هو رأى دعاة العولمة فى محاكمة هؤلاء السفلة والمجرمين اللوطيين لقد طالعتنا وسائل الاعلام بموقف أمريكا وأشياعها من دعاة العولمة ٢٠ – ٨ – ٢٠٠١ م :

١- ثلاثة وعشرون عضوا فى الكونجرس الامريكى يطلبون وقف المعونة والمساعدات لمصر لمحاكمتها الشواذ.

٢- فى بريطانيا ست منظمات للشواذ تطلب إيفاد مسؤولين للقاهرة لمحو وصمة العار عن جبين حقوق الانسان !!

٣- فى فرنسا خمس مجموعات تطالب باريس بتغير سياستها فى الشرق الأوسط وتأييد موقف إسرائيل .

٤- فى ألمانيا دعوات لقطع العلاقات مع مصر.

٥- المناداة بوجوب تعليق عضوية مصر فى الامم المتحدة اذا لم تفرج عن الشواذ .

هذه هى أخلاق دعاة العولمة فما هو رأى كل صاحب عقل سليم ومنطق مستقيم . كما لايفوتنى فى هذا المقام أن أذكر بمدى التدهور الحاصل فى المستوى المعيشى ، وزيادة نسب البطالة بين المتعلمين فى مصر ، وكساد

---

(١) راجع جريدة الاسبوع المصرية العدد ٢٣٥ سنة ١٤٢٢

أو ركود غير مسبوق ، صحب ذلك انخفاض مستمر فى قيمة الجنية المصرى فى مقابل العملات الاخرى خاصة الدولار (١) .

ورغم التحذير الرسمى من التخفيض المستمر لقيمة الجنيه المصرى أمام الدولار فى ظل استمرار حالة الكساد والركود وتوقع زيادة حدة انخفاض الجنيه ، معتبرة ذلك يعود الى أن بداية تطبيق القواعد الجديدة لنظام الصرف لم تراع الأوضاع الإقتصادية والتفضيلية للإقتصاد المصرى ، إضافة الى أن زيادة الصادرات لم تتم على النحو المستهدف بعد زيادة سعر الدولار وذلك لضعف الامكانات التصديرية وحذرت التقارير من أن استمرار الأوضاع الأقتصادية على ما هى عليه سيؤدى على عدم سيطرة الحكومة نهائيا على سوق سعر الصرف الأمر الذى سيؤدى لاحقا الى تعويم كامل لسعر الجنية المصرى .

---

(١) المصدر السابق ص ٣

أخلقة العولمة بالإسلام :

لصبغ هذه العولمة بصبغة أخلاقية إسلامية لابد من الإشارة إلى المنهج الأخلاقي في الإسلام ، وقبل أن ننفذ إلى ذلك نرى أن نرشح بكلمة موجزة عن الشرائع التي عرفها العرب قبل مجيىء الإسلام والتي كانت اما مبدلة واما منسوخة وكان بعضها مجهولا وبعضها متروكا ويجدر بنا أن نذكر بعض الأمثلة لكي نرى كيف كانت الأخلاق قبل الإسلام .لقد كان هناك – التعدد والتجسيد – والمبدأ الشرعي الساذج الذي يبيح محاكمة الحيوان والذي كان معتمدا لدى اليونان والرومان واليهود ، ومبدأ العنصرية الضيق المتخلف والذي كان يفرق بين الأجناس و الألوان وكانت العنصرية شريعة أساسية لدى اليهود ولم يكن في التوراة الا العفو والقصاص . لقد كانت هذه هي بعض الأمثلة التي كانت عند العرب قبل مجيىء الأسلام فعند مجيء الإسلام رفض الخطأ وأقر الصواب ونقى المحرف من شوائب التحريف .

لقد فعل الإسلام ذلك في العقائد والشرائع والأخلاق جميعا ، فالإسلام

أ – رفض التعدد والتجسيد وأكد على عقيدة التوحيد الخالص .

ب – رفض المبدأ التشريعي الساذج الذي يبيح محاكمة الحيوان والذي كان معتمدا لدى اليونان ، والرومان ، واليهود .

ج – وفي التشريع والأخلاق نبذ الإسلام مبدأ العنصرية الضيق المتخلف وأكد مبدأة الانساني الذي لا يفرق بين الأجناس أو الألوان .

د – وفي التشريع أقر مبدأ الدية في الجرح والقتل وكان هذا من مبادىء العرب ولم يكن من التوراة الا العفو أو القصاص .

هـ – و في التشريع أيضا رفض الإسلام تقرير الرق كجزاء للسرقة وقد كان ذلك في الشرائع السابقة .

وبمناسبة الحديث عن العنصرية، تابعنا من خلال وسائل الأعلام المقروءة والمسموعة والمرئية ما حدث في مؤتمر دربيان بجنوب

أفريقيا [1] والخاص برفض العنصرية والرق، حيث تخلى دعاة العولمة عن شعارتهم البراقة كحقوق الإنسان ونبذ العنصرية والإرهاب ، حق الشعوب في مقاومة المحتل المغتصب ، وأثبتوا أن ما يردد لا وجود له إذا ما تعلق الأمر بإسرائيل محتى وصل الأمر الى انسحاب رائد العولمة الأول في العالم وسيد العالم أمريكا من المؤتمر احتجاجا على مسودة بيان تدين ممارسات إسرائيل العنصرية ضد شعبنا العربي في فلسطين المحتلة ، وتهديد دعاة العولمة { الإتحاد الأوربي} بالإنسحاب إذا ما ذكرت كلمة إسرائيل في البيان الختامي ، والعرب والمسلمون لا حول لهم ولا قوة بسبب ضعفهم وتنافرهم(فمن خذلته اسرته فلا ينتظر من الأباعد نصرتة) وبالفعل انتهى البيان كما أراد الأقوياء .

هذه هي حقائق مكشوفة لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد على النظام العالمي الجديد .

و – أنشأ الإسلام مبدأ المسولية الفردية الذى كان معمولا به لدى العرب وهكذا نجد في كل ناحية مما ذكر نوع مغاير يتميز بها دين الأسلام مما قد نسخ أو بدل.

ولو نظرنا الى واقع غير المسلمين اليوم :

فالشيوعية ، التى كتب الله لها الانهيار ، لا تفرق بين عالم الأحياء وعالم المثل والقيم فما هو فضيله عندهم أمس رزيلة في الغد و لا ثبات للأخلاق فالدعوة إلى الحيوانية في علاقة الجنسين بعضهما ببعض كانت من المبادىء الأخلاقية ع يؤازرها في المجتمع الغربي والمجتمع الأمريكى شيوع نظريات " فرويد ".

(١) مؤتمر العنصرية المنتهى ق ٨-٩-٢٠٠١م ٢٠-٦-١٤٢٢ هـ

وهذه الأخلاق الفاسدة التي ليس لها ثبات في المجتمع الشيوعي في الجنس والكبت وأن الإنسان يجب أن ينطلق دون قيود أو حدود لاشباع غريزة الجنس فيه والا أدى ذلك الى العقد والأمراض النفسية ، وعلى أساس هذه النظرة كان الإختلاط والخلاعة والمجون و دور الملاهي والدعارة لإرواء الغرائز الجنسية ، و لقد استغلت الصهيونية العالمية كل ذلك لتدمير البشرية أو لتستولي عليها من أقرب طريق بعد أن نجح زعماؤهم في محو عقيدة الإيمان من النفوس وغرسوا فيها أن الدين مخدر للشعوب و أن الإنسان ليس إنسانا وإنما هو" حيوان " كما قال دارون و لذلك تقول بروتوكولات حكماء صهيون :

" يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا، إن فرويد منا وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكيلا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس و يصبح همه الأكبر هو إرواء غرائزه الجنسية و عندئذ تنهار أخلاقه ، ولقد أقامت هذه المجتمعات برامجها في التعليم والتثقيف على هذه الأسس ، فالاختلاط بين الذكور والإناث في المدرسة والمعسكرات وأصبح هذا أمرا مألوفاً لدى كثير من مجتمعاتنا الإسلامية رغم الآثار الخطيرة التي خلفها نظام التعليم المدني والأعلام في بعض الدول العربية ، وتفشت الجريمة الأخلاقية بين شباب الأمة حتى أننا سمعنا في بلدانا الإسلامية شبابا يعبدون الشيطان وشبابا يروجون للوطية ، وزيادة الجرائم الأخلاقية في مجتمعاتنا العربية والسبب في نظري سياسة الأعلام والتعليم فضلا عن الأوضاع الاقتصادية المتردية .

هذا قليل من كثير عن أخلاق العولمة فماذا عن الأخلاق الإسلامية

إرتباط الأخلاق بالعقيدة والعبادات :

أولا : ارتباط الأخلاق بالعقيدة :

الأخلاق والعقيدة صنوان في الأسلام فقد ربط القرآن الكريم بينهما منذ الساعات الأولى للتكليف بالإنذار العام :

قال تعالى : " يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر و لا تمنن تستكثر ولربك فاصبر " { المدثر : ١ – ٧ }

كما أمر الله نبيه الكريم بأن يكون لينا فى عريكته رفيقا بأمته فى الساعات الأولى للتكليف بالأنذار الخاص وذلك فى العديد من آيات القرآن ومنها قوله تعالى : " فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين . وأنذر عشيرتك الاقربين و أخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين " { الشعراء : ٢١٣ – ٢١٥ }

وجاءت دعوته صلى الله عليه وسلم الى فضائل الأخلاق حارة زكية رابطا بينها وبين العقيدة فيقول صلى الله عليه وسلم : " اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن "

وعن أنس ابن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه "

وكيف تستقيم عقيدة التوحيد فى قلب المؤمن ثم يترك شريعة الله المتعلقة بالسلوك والمعاملة اجتماعيا أو اقتصاديا أو أخلاقيا !

ويوم عزل المخدوعون الواهمون الدين عن الحياة ، وأنكروا تشريعاته فى السلوك الشخصى والاجتماع والاقتصاد وأرادوه أقوالا وحركات مسجدية ليس له شأن بحياة الناس فسدت الحياة وعمت البلوى وكثرت الشكوى.

فالخلق الكريم رمز العقيدة الصحيحة ، والاستقامة مظهر الإيمان ، والسلوك النظيف ثمرة الاستقامة ، يقول النبى صلى الله عليه وسلم : " لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه "

فالرحمة والمودة والمروءة والنجدة وما تعارف عليه العقلاء واهتدت اليه الانسانية وأقرته رسالات السماء من قيم الأخلاق عنوان صادق لصدق الايمان وسلامة الاعتقاد فى اليوم الآخر وإذا ارتكب المرء خلقا ذميما أحدث خرقا فى ايمانه يقول النبى صلى الله عليه وسلم : " لا يزنى الزانى حين

يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق السارق وهو مؤمن "

وسئل النبي صلى الله عليه وسلم : أيكذب المؤمن ؟ قال : " لا "

من هذا يفهم أن الأخلاق دليل الإسلام وترجمته العملية فكلما كان الإيمان قويا أثمر خلقا قويا ، سئل الرسول صلى الله عليه وسلم : { أي المؤمنين أكمل إيماناً قال : أحسنهم خلقا } و بقدر تشوه صورة التوحيد في نفوس المنتسبين للأسلام ولم تعد العبودية لله سوى كلمة تقال لا خلقاً نابعا من الأحساس بالصلة الوثيقة بين المؤمن وخالقه ، أصبح الإسلام عادة و ما فيه من رسوم العبادة وأشكال القربات لله تقليدا للسابقين خاليا من الروح منقطع الصلة عن الفكر المستقيم والنظر الصحيح ، كل هذا أعطى سلاحا للعدو يشهره في وجه المسلمين ويشيع بين الناس أن المسلم مثال الغش والخداع والمكر وسوء الجوار ونقض العهود والإحتيال والكذب .

ولا نور ولا هداية الا في الأخلاق الإسلامية فإذا ما أريد إصلاح المسلم وإحلال التعاون محل الخلاف بين المجتمعات في الشرق والغرب فان وساطة الإسلام ضرورة لا غنى عنها والعودة إلى كتاب الله وما فيه من أخلاق شامخة باسقة الأغصان نراها منثورة في رياض كتاب الله الخالد مهمة لكل منا في دنياه وأخراه .

ثانيا : ارتباط الأخلاق بالعبادات :

على جبل النور ، في غار حراء ، والكون ساجد لله ومحمد بن عبدالله يعتصر ذهنه وفكره بعيدا عن صخب الحياة وأباطيلها في زمن عمت فيه الفوضى واستشرى فيه الباطل ، وبينما المصطفى صلى الله عليه وسلم مستغرق في تأمله في هذا المكان البعيد عن أهل مكة يبحث عن الطريق المستقيم ، إذ بملك الوحي جبريل عليه السلام يضمه الى صدره ويبلغه نداء الله : " إقرأ بإسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق إقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم " { العلق : ١ – ٥ }

من هنا أصبحت " إقرأ بسم ربك " منارة هادية وضعت يد الإنسان على الحقيقة فالقراءة باسم الله والعلم باسم الله والصلاة باسم الله والحياة بما فيها ومن فيها باسم الله بل والممات باسم الله والعبادات وشعائر الإسلام وسائل تربية وتقويم للمجتمع منذ اللحظة التي انبثق فيها شعاع الوحي أصبح للعبادة مفهوم جديد ولم تعد رسوما وطقوسا تؤدى داخل المعابد والصوامع والبيع ، فالعبادات كالصلاة والزكاة والصيام والحج يعودوا المرء على أن يحيا بأخلاق صحيحة فالصلاة تطهر الإنسان ظاهرا وباطنا ، وتروى فيه شجرة الأخلاق بماء الوضوء ونور الذكر وروعة التجرد لله ، و حسبنا أن الناس في بيت الله يقفون صفا واحدا لا فضل لعربي على أعجمي الا بالتقوى الغنى بجوار الفقير والحاكم بجوار المحكوم وهذا التواضع لأنهم يقفون يتوجهون لرب واحد لا شريك له وقبلتهم واحدة وشعارهم واحد الله أكبر .

والمرء في صلاته يتعلم كيف ينكر ذاته ويرتفع عن شهواته ويروض نفسه على تسليمها المطلق لربها يقول تعالى : " إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون " { المعارج : ١٩ – ٢٣ }

وكيف لا تحول الصلاة بين المؤمنين والوقوع في أسر الشهوات والمؤمن ينتقل في يومه من صلاة الى صلاة .

يبدأ أولها مع موكب الضوء الهادىء في السحر وتنتهي الرحلة آخر اليوم بصلاة العشاء ، الأولى توقظه والأخيرة تسلمه الى خالقه وبين هاتين يحيى الإنسان مندفعا في ضروب الحياة وكلما ضل الطريق أتت إحدى الفرائض فذكرته – إذا كان قد نسي – وأعادت اليه الأمان والراحة وغسلت عنه ذنوبه ومساوئه فعاد نقيا طاهرا والصلاة زاد وقوة تمد صاحبها بالصبر عند الشدائد يقول الله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة " { البقرة : ١٥٣ }

وقد جعل القرآن الكريم ترك الصلاة وسيلة للانحطاط الخلقي والوقوع في أسر الشهوات قال تعالى : " فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا " { مريم : ٥٩}

فالصلاة هي المدرسة الربانية التي تربى فيها المسلمون فكان لهم الخلق الفريد النابع من صلتهم الوثيقة الممتدة عبر الأجيال والقرون مع الله

وإذا انتقلنا الى الزكاة التي فرضها الله وجدناها جزءا من منهج القرآن في تربية المجتمع ، إنها تطهر القلوب من أمراض الشح والبخل فالمال قطعة من النفس وجزء من حياة الإنسان بل هو مقدم على فلذات الأكباد .

قال تعالى : " المال والبنون زينة الحياة الدنيا " { الكهف : ٤٦ } فإذا أخرج الإنسان الزكاة من ماله مع حبه الشديد له كان إخراجه للزكاة تطهيرا للنفس من هذا الحب الذي يطغى وكان دليلا على قوة أخلاقه وخاصة أن المال مال الله والعطاء والرزق من عند الله ، يقول الله تعالى : " أفرأيتم ما تحرثون ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون لو نشاء جعلناه حطاما فظلتم تفكهون إنا لمغرمون بل نحن محرومون " { الواقعة : ٦٣ – ٦٧ }

وإذا انتقلنا الى الشهر العظيم من بين أشهر العام الذي يستوقف الركب السائر ليزوده بالعطاء ويشعره بلذة الأنس والقرب من الله ، وحق للسماء أن تحتفل بهذا الشهر والأرض أن تتزين من أجله والله الأعظم يجعل منه عيدا يمتد مع أيام شهر رمضان ولياليه .

وإذا كانت الأمم تحتفل بأعياد انتصاراتها على الظلم والطغيان وتجعل من يوم ثوراتها فرصة لشرح مبادئها وتربية أبنائها فإن شهر رمضان أحق بذلك لأنه شهر الهدى " شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان " { البقرة : ١٨٥ }

ولا عجب بعد هذا أن يكون شهر القرآن فرصة يتربى فيها المؤمن على أخلاق القرآن ففي أول ليلة وعندما يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر يدخل الإنسان مع نفسه في تجربة تزويدها على الطاعة وعودها على حسن الخلق ويصب عليها من بحر المراقبة الدائمة لحظات

يومة وساعاته ، فعين الله اليه ناظرة ويده له محركة ، وفى كل يوم من رمضان يشتد أزر الصائم وتقوى صلته بربه ويحقق الغاية التى من أجلها فرض الصيام وهى التقوى " يا أيها الذين أمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون " { البقرة : ١٨٣ } .

واذا كانت الصلاة والزكاة والصيام تلك الفرائض التى جعلها الله أشعة الهدى ومناهج التقويم والتهذيب ووسائل التدريب العملى على حسن الصلة بين الأنسان وخالقه وبين الإنسان وأخيه ، فإن فريضة الحج جماع ذلك كله : فيها الرجوع بالصلاة إلى حقيقتها الطاهرة النقية والى مكانها الذى نبتت فيه وانبثقت من جواره .

وفى الحج تعويد على البذل والسخاء بما يقدمه الحاج من هدى لفقراء البيت وما ينفقه من ماله فى سبيل الله ، وفيه صيام لمن كان مريضا أو به أذى يقول الله تعالى : " فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك فاذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام " { البقرة : ١٩٦ } .

ففريضة الحج جمعت مبادىء التربية كلها وهى كفيلة بما تحمله من معانى الخير والطهر أن تعيد للإنسان إنسانيته فيعود إلى دياره كما خلقه الله ، نقاء فى الفطرة واشراقا فى السريرة واخلاصا يملئ عليه حياته قال صلى الله عليه وسل: " من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه " ويكفينا أن الحاج يتجرد عن الملابس المخيطة ويرتدى ملابس الأحرام ويفارق أهله وهذا يذكره بيوم القيامة وأنه مرتحل مهما طال العمر الى دار لابد أن يتزود لها بأكرم زاد وهو التقوى " وتزودوا فإن خير الزاد التقوى " وهكذا كل العبادات تهدف الى تربية الإنسان التربية الإسلامية فى ظل ما أمر الله به من خلق كريم وسلوك طيب .

وعن الطابع الأخلاقى فى عقيدة الإسلام وشريعته اتضح أنه بالنظرة الموضوعية في أمر العقيدة الإسلامية يتبين أن هذه العقيدة نفسها تقوم على

أساس من الأخلاق يتمثل في الصدق والأخلاص فيها. ومن هنا فإن من لـم يعمر الأيمان قلبه بإخلاص وصدق كان منافقا في عقيدته ، ومخادعا ومخالفا في سلوكه وأخلاقه .

ومن ثم لا قيمة لأيمانه المزعوم في هذه الحالة ولا عبرة له في النجاة في الآخرة ، لأنه فقد الإخلاص وهو قيمة خلقية كريمة .

والإسلام قد سما بالخلق الفاضل الى درجة القرب من الله ، والحظوة بمحبته و رضاه ، ما دام صاحبه قد انتهج منهج الله واستقام علـى صـراطه المستقيم .

يقول الله تعالى : "ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنـزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولاتحزنـوا وأبشـروا بالجنـة التـى كنـتم توعـدون " { فصـلت : ٣٠ } وكذلك فان ذميم الخلق ورديء الخصال قد ينحط بالإنسـان الى درك الكفر وذلك كمن يستحيل فعل مرذول منهي عنه ، كالسرقة والزنـا وشرب الخمر ، وذلك لأنكاره معلوما من الدين بالضرورة ، ولـذلك أوجـب الإسلام حدودا شرعيه ، وعقوبات تقام على من يرتكب بعض هذه الرزائـل كجريمة السرقة والزنا وشرب الخمر ، وذلك كله حماية للمجتمع من موبقات تلك الرزائل، هذا عدا ما أمر به الدين الإسلامي من فضائل خلقية تعتبر مـن أمهات الفضائل.

يقول الله تعالى متحدثا عن أنواع الفضائل المـأمور بهـا والرزائـل المنهي عنها :

" إن الله يأمر بالعدل والإحسان و إيتاء ذى القربـى وينهـى عـن الفحشـاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون " { النحل : ٩٠ } والإسلام فيما يتعلـق بالحلال والحرام يدفع إلى حماية الأخلاق الأنسانية مـن أن تتـزلق إلـى مهاوى الرزيلة وشرور الموبقات، والأوامر والنواهي .. هي فـي حقيقتهـا توجيه للإنسان إلى السلوك القويم والصراط المستقيم ، والخلق الفاضـل،وذلك حتى يفوز بالسعادة الكبرى وهي رضـا الخـالق جـل وعـلا ، والشـريعة الإسلامية ذات طابع أخلاقي سامي في جوانبها المتعددة ومناحيهـا المختلفـة

وإليك جانبين هامين من الجوانب التي برزت فيها السمة الأخلاقية والإسلامية :-

أ – جانب المعاملات :

في جانب المعاملات تدور على العلاقة التي تدور بين الإنسان وأخيه الإنسان نجد أن أوامرها ونواهيها ، تدفع الإنسان إلى الحق ، وهو فضيلة كبرى وقيمة سامية ، وتهديه إلى الخير وهو قيمة أخرى ، ضلت في مقاييسها العقول ، فالأوامر بالكسب الحلال ، وتحرى الرزق الطيب والصدق في المعاملة والنصح والوفاء والعدل والإحسان ، كل ذلك مسالك تسلك بالإنسان الطريق المستقيم ، إلى ما ينشده له الدين من خلق قويم، تستقيم معه الحياة حين يلتزم كمنهج حياة .

والنواهي كالنهي عن الغش والسرقة والتطفيف ، والخمر والزنا والخداع وكل أمر الإسلام ونهيه يدفع الإنسان عن هذه الرزائل الى الفضائل ، سيما وقد قرن كل جرم منها بعقوبته ، وطريقة تنفيذها مما يبعث على اجتنابها .

ولذلك جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم :- { المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره .. بحسب امروء من الشر أن يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه } كذلك ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم :-

{ مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى } وبذلك كله تقوم العلاقة بين الناس على أسس أخلاقية من العدل والإحسان والرحمة

ب – معاني خلقية في العبادات الأسلامية :

واذا تخطينا جانب المعاملات الى جانب العبادات في الإسلام ، هالنا ما تشتمل عليه من مغزى خلقي كريم ، وما تهدف اليه من خلق سام رفيع والعبادات التي شرعت في الأسلام ، واعتبرها الإسلام أركانا له ليست طقوسا مبهمة من النوع الذي يربط الإنسان بالغيوب المجهولة ، ويكلف

بأداء أعمال غامضة وحركات آلية لا معنى لها بل ان الفرائض التى ألزم بها المسلمون من قبل الإسلام هى تمارين متكررة لتعويد الإنسان على أن يحيا بأخلاق صحيحة وأن يظل متمسكا بهذه الأخلاق ... مهما تغيرت أمامه الظروف انها أشبه بالتمارين الرياضية التي يقوم الإنسان عليها بشغف ملتمسا من المداومة عليها ، عافية البدن وسلامة الحياة .

والقرآن الكريم والسنة المطهرة يكشفان بوضوح عن المغزى الأخلاقي لشعائر الإسلام وعباداته فالصلاة مثلا : هى فى حقيقتها صلة بين العبد وربه و لا تؤدى الصلاة الى هدفها فى الإسلام ــ كعبادة لله ــ إلا إذا أثمرت طهارة النفس وبراءتها واخلاصها . فهى تصفية للنفس من الشوائب ، و تخلص لها من الأدران . وقد أبان الله بعض الحكمة من اقامتها فقال : " إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر " { العنكبوت : ٤٥ } و من هنا فهى إن لم تؤد الى هذا الغرض الأخلاقى لا تكون صلاة ، فمن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له ، وإن لم يسقط عنه التكليف بأدائها ، رجاء أن تؤتى ثمارها يوما من الأيام . على أن أداء الصلاة كما أرادها الله لابد أن تؤدى ثمارها فى سلوك المؤمن والا ردها الله إليه .

ولعل مما يسند ذلك ما يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن رب العزة : " إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى ، و لم يستطل بها على خلقى ولم يبت مصرا على معصيتى وقطع النهار فى ذكرى ورحم المسكين وابن السبيل ، والأرملة والمصاب " .

إلى هذا الحد تكون عبادة الصلاة تمثل عمود الدين ،فهى ذات مغزى خلقى كريم وذات وظيفة اجتماعية خطيرة فى بناء الجماعات البشرية ، كما يصبح عمود المجتمع أيضا . فهى تستلزم التواضع لله وللناس ، ونبذ المعاصى ، والرحمة والعطف على ذى الحاجة من المساكين وأبناء السبيل والأرامل والمصابين . و لا شك أن كل هذه المستلزمات من دعائم المجتمع الكريم الفاضل القوى ، فإذا تركنا الصلاة إلى الزكاة فإننا نجد السمة الأخلاقية

فى غير حاجة إلى مزيد بيان ، فهى وسيلة لسمو أخلاقى كريم يخلق المجتمع الصالح ذا البناء القوى المتماسك .

فالزكاة -ليست ضريبة تؤخذ لإنقاص المال - وإنما هي الأخرى ذات مغزى أخلاقى نبيل لانها غرس لمشاعر الحنان والرأفة وتوطيد لمشاعر التراحم والتآلف .

فهى سبيل الى انتصار الإنسان على تصلت المادة وتحكمها ، كما أنها سبيل الى التكافل الأجتماعى ، تؤدى إلى اعتياد النفس على البذل والسخاء وهما فضيلتان ينتج عنهما الإخاء وهي تعبير عن شكر الله على نعمته وليست تعبيرا عن الامتهان للفقراء ، لأنها لهم حق مفروض أو معلوم على ألا تصحب بمن أو أذى و الا فقدت قيمتها .

والنهى عن قرنها بالمن والأذى انما هي توطيد لوظيفتها الأخلاقية .

قال الله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الأخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين " { البقرة : ٢٦٤ }

فهى لن تكون مقبولة إلا إذا خلصت من المن والأذى والرياء وإلا كانت هباء وفقدت حكمتها فى تطهير المؤمن وتزكيته ، لأن ذلك ملحوظ فى حكمة مشروعيتها .وقد نص على ذلك القرآن " خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها " { التوبة :١٠٣ }

وما يجدر ذكره هنا : إن الإسلام يوسع مفهوم الصدقة ويرعي هذا المفهوم بحلى أخلاقية كريمة ، حيث يدخل فى مفهومها بعض أنماط السلوك الأخلاقى النبيل .

و لنستمع الى الرسول صلى الله عليه وسلم يقول فيما يرويه الامام البخارى : " تبسمك فى وجه أخيك صدقة .وبصرك للرجل الردىء البصر صدقة "

وهذه التعاليم في البيئة الصحراوية التى عاشت دهورا على التخاصم والتناحر تشير الى الأهداف التى رسمها الإسلام وقاد العرب اليها من جاهلية مظلمة مرزولة الى نور عقيدة توحيدية نورانية فاضلة محمودة . أما الصيام فهو يمثل مجاهدة نفسية للغرائز ويمثل انتصارا على نوازع الشر فى الإنسان

وسرية الصيام الكائنة بين العبد وربه تجعل من الصيام نموذجا صادقا من الأخلاص والصدق والشجاعة والصبر .

علاوة على ما فيه من تقوية للعزيمة ، وتنمية للارادة ، تعين الأنسان على تحمل ما قد يعترى حياته من مصاعب . و لم ينظر الإسلام الى الصيام على أنه حرمان مؤقت من بعض الأطعمة والأشربة ، بل يعتبره خطوة وتمهيدا لحرمان النفس بصفه مستمرة من شهواتها المحظورة ونزواتها المحرمة وهنا يكون الصوم ذا مغزى أخلاقى كريم وهو وسيلة الى ترقية للسلوك الإنسانى وتهذيب الأخلاق واذا لم يؤدى الصيام الى أهدافه التى حددها الإسلام من مشروعيته كان غير ذى معنى فى ميزان الإسلام ، ومن هذا نفهم قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجه فى أن يدع طعامه وشرابه " .

وقال كذلك صلى الله عليه وسلم: " (ليس الصيام فى الأكل والشرب وإنما الصيام فى اللغو والرفث ، فان سابك أحد أو جهل عليك فقل انى صائم " و لا شك أن هدف الصيام الكلى هو التقوى ، تقوى الله التى لا تتأتى على الوجه الأكمل الا باتقاء الشرور أو الرزائل ، وتمثل الفضائل السامية " يا أيها الذين أمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون " (البقرة : ١٨٣)

أما عبادة الحج ، فقد نحسب أنها مجرد عبادة ومجموعة من الشعائر غير معروفة الحكمة وهى بمعزل عن الناحية الخلقية ،ولكن استقراء القرآن لا يعطى ذلك ، بل يعطى أن فطرة الحج فطرة تهذيبية مع كونها تدريبا على نوع من العبادة التعبدية التى هى فى مقام العبودية أرقى فى مرتبة الإخلاص وهو قيمة خلقيه سامية .

" الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق و لا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب " { البقرة : ١٩٧ }

حماية الأخلاق الإسلامية بتشريع الحدود على الجرائم الأخلاقية :

إن فطرة الإسلام خيرة ، وليس معنى هذا أن الإنسان لا يحسن إلا الخير بل يقصد بذلك أن الخير يتوائم مع طبيعته الأصلية ، والفرض أن الإنسان يجب أن يعيش من طريق شريف ويحيى على ثمرات كفاحه وجهده الخاص فلو فرض ولخطأ الإنسان وسرق أو زنا أو اعتدى على الآخرين بأى وجه من أوجه الأعتداء فهل الإكراه على الفضيلة يصنع الإنسان الفاضل ؟

الإجابة بالنفى فالإكراه على الفضيلة لا يصنع الإنسان الفاضل كما أن الإكراه على الأيمان لا يصنع الإنسان المؤمن ، فالطريقة المثلى لدى الإسلام هى خطاب القلب الإنسانى واستثارة أشواقة الكامنة الى السمو والكمال وارجاعه الى الله بارئه باسلوب سائغ من الأقناع والمحبة وتعليقه بالفضائل الجليلة على أنها الثمرة الطبيعية لهذا كله، فالحدود على الجرائم الخلقية لم تشرع لإكراه الإنسان على الفضيلة وإلزام الناس – بطريق القسوة – إلى اتخاذ المسالك الحسنة ، وإنما شرعت وقاية للجماعة العادلة المصلحة من ضراوة عضو فيها يقابل عدالتها بالظلم وإصلاحها بالفساد .

ولن يصدر الإسلام حكما بتوقيع الحد على المخطىء إلا يوم يكون تركه بدون عقوبة فيه مثار شر على الآخرين ، ولا حرج من خلع الطفيليات التى لا فائدة منها ، فنحن فى حقول الزراعة المختلفة نوفر الماء للمحاصيل الرئيسية باقتلاع كثير من الحشائش والأعشاب ، وليست المحافظة على مصلحة الإنسانية العامة باقل من ذلك خطر ،ومن ثم فلا وجه لاستنكار الحدود التى أقرها الإسلام وسبقت بها التوراة ، واعتبرت شريعة الأديان السماوية عامة .

وفي تناولنا النظام العقابي في التشرع الإسلامي يجدر التميز بين مرتبتين مختلفتين :.

أولا : الجزاءات التي حددها الشرع بدقة وصرامة وهي (الحدود)

ثانيا : الجزاءات المتروكة لتقدير القاضي وهي (التعزيرات)

والحدود تتكفل بمجازات عدد قليل من الجرائم هي : الحرابة ، السرقة ، وشرب الخمر ، والزنا ، والقذف وأهم ما يميز الحدود ما يلي :

أ – أن العقوبة فيها محددة تحديدا دقيقا كيفا وكما .

ب– تتسم الحدود بالصرامة ، في أنه لا يجوز لأصحاب الحق المعتدى عليهم التنازل متى وصل الأمر الى السلطة المختصة ، ولعلنا نعرف قصة السرقة التي ارتكبتها امرأه تنتمي الى طبقة الأشراف العربية ، والتي قال في شأنها النبي صلى الله عليه وسلم كلمات مازالت مبدأ عاما للمساواه بين الجميع : " أيها الناس إنما ضل من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه ، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها "

ومما هو جدير بالإشارة أن العفو عن الحدود جائز قبل علم السلطة المختصة فإذا علمت السلطة المختصة فيصبح تطبيق الحد أمرا جازما لا رحمة فيه لقول النبي صلى الله عليه وسلم : " تعافوا الحدود فيما بينكم فما بلغني من حد فقد وجب "

والواقع أن التشريع الإسلامي يجعل من حياة الإنسان وبدنه وماله وعرضه أشياء مقدسة وهو ما قرره رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : " إن دمائكم وأولادكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا "

فالحد يقصد به الحماية للمجتمع ولحرمات الإنسان ، وكلما كان الحد أو العقوبة أشد صرامة كلما كان غالبا تطبيقها ء فعظم الجزاء يجعل مخالفته أدنى إغراء وأقل إغواء . وزيادة في التأكيد نرجع الى البلاد التي تطبق شرع الله تقل فيها الجريمة ونجد تباينا واضحا بينها وبين البلاد التي تطبق القوانين

الوضعية ، ولذلك قالت العرب قولا بليغا صار يضرب به المثل فى البلاغـــة وهوقولهم: (القتل أنفى للقتل) .

أى أن عقوبة القصاص وهى قتل للجانى تنفى ارتكاب جرائم القتـــل فى المستقبل ، فكل من تسول له نفسه قتل لأخيه عندما يعلم أن نهايتـــه القتـــل سيتردد كثيرا وينتهى الأمر الى اقلاعه عن جرمه بخلاف ما قد كان العقاب خفيفا فيستهين المجرم ويرتكب جريمته دون تردد .

وهذا ما أيده القرآن الكريم فى بلاغة مطلقة تربو بلا حدود فوق قول العرب الماضى ذكره وذلك فى قوله تعالى: " ولكم فى القصاص حيـــاة يـــا أولى الألباب " { البقرة : ١٧٩ } .

خصائص الأخلاق الإسلامية :

المتأمل فى القانون الأخلاقى فى الإسلام يجد أنه يتميـــز بخصـــائص يمكن بيانها بإيجاز مناسب فيما يلى :-

أولاً : الشمول:

يتجلى طابع الشمول فى القانون الأخلاقى فى القرآن فيما يلى :

أ- مجموع أوامره ونواهيه تتوجه فى الجملة الى الإنسانية جمعاء ، وهذا مـــا يقرره الله تعالى حكايه عن نبيه صلى الله عليه وسلم :" قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا " [الأعراف:١٥٨]

وقوله تعالى : " ليكون للعالمين نذيرا " { الفرقان : ١ } وهـــذا يعنـــى أن قانون الأخلاق يطبق على الجميع على نسق واحد سواء علـــى نفســـه أو على الأخرين ، سواء على أقربائـــه أم علـــى البعـــداء قـــال تعـــالى : " كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولوعلى أنفسكم أو الوالدين والأقربين " { النساء : ١٣٥ }

ويقول الله تعالى : " ويل للمطففين * الـــذين إذا اكتـــالوا علـــى النـــاس يستوفون * واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون " { المطففين ١ – ٣ }

ب – كما يقصد بالشمول ؛ بأن قانون الأخلاق يتناول كل الأعمال سواء أكانت صغيرة أو كبيرة ظاهرة أو خفية يقول الله تعالى : " فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره " { الزلزلة : ٧ ، ٨ }

ويقول الله تعالى : " ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا و لا يظلم ربك أحدا " { الكهف : ٤٩ }

ثانيا : الصلاحية لكل زمان ومكان :

أسلوب القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة في تربية الانسان يقومان على أساس لا يتغير بتغير الزمان أو المكان ، فكل ما أمر به خير والالتزام به خلق جميل وحميد، وكل ما نهى عنه شر والوقوع فيه منكر وإثم عظيم . فالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين، وشريعته صالحة لكل زمان ومكان ومحفوظه بحفظ الله.

يقول الله تعالى : " انا نحن نزلنا الذكر وإنا له حافظون " { الحجر : ٩ } ونستعرض مثالا واحدا لصلاحية الشريعة الإسلامية وما فيها من أخلاق لكل زمان ومكان ، الوصايا العشر التي قال فيها ابن مسعود رضى الله عنه ؛ هذه الوصايا لا تختلف باختلاف الأمم والأمصار وهي .

قوله تعالى : " قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا و لا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذالكم وصاكم به لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلاوسعها واذا قلتم فاعدلوا واذا كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه " { الأنعام : ١٥١ – ١٥٣ } فهذه الآيات تعطي منهاجا كاملا للحياة .

وإذا نظرنا الى كل رسول قبل المصطفى صلى الله عليه وسلم وجدنا أن رسالته كانت قاصرة على قومه خاصة اصلاح ما فسد من عقائدهم وأخلاقهم ، والعمل على تهذيب نفوسهم وأرواحهم ، حيث كانت المجتمعات الا نسانية في أطوارها الأولى محصورة فى نطاق بيئتها ومحدودة المطالب . فلما نضج العقل البشرى أذن الله بفجر دين جديد يلقى أضواءه على جوانب الحياة كلها ، بنبى خاتم الأنبياء وشريعته صالحة لكل زمان ومكان .

يقول الله تعالى : " ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين " { الأحزاب : ٤٠ }

ويقول النبى صلى الله عليه وسلم " كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس كافة "

ويقول صلى الله عليه وسلم " أنا العاقب فلا نبى بعدى "

وخلاصة القول :

إن شريعة الإسلام التى جاء بها النبى صلى الله عليه وسلم جاءت وافية لمطالب الحياة الإنسانية من عقيدة وأخلاق وأعمال صالحة وعبادة وحكم وقضاء ، واكتسبت نصوص الشريعة الإسلامية من المرونة والعموم ما جعل قواعدها صالحة للناس كافة فى كل عصر من العصور تساير عوامل النمو والارتقاء فى كل زمان ومكان .

ثالثا : إقناع العقل والعاطفة :

لقد خلق الله الإنسان وركب فيه العقل والعاطفة فمن غلب عقله على عاطفته ارتقى الى درجات الملائكة ومن غلب عليه هواه نزل الى مصاف البهائم بل ربما أدنى .

يقول الله تعالى : " لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون " { الأعراف : ١٧٩ }

والحق أن الأمر بمكارم الأخلاق لم يقتصر على الملكات العقلية وحدها وإنما اهتم فى نفس الوقت عناية كبيرة بإيقاظ أشرف مشاعرنا

وأزكاها بيد أن تحريك المشاعر انما يتم تحت رقابة عقولنا لنرتقي إلى درجات الملائكة فعندما يدعونا الله تعالى الى التواد والتحاب والتعارف لا يأمرنا أمرا مجردا وانما يذكرنا بأصلنا و يثير مشاعر الأخوة بيننا وأننا من ذكر وأنثى " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا " { الحجرات : ١٣ }

وإذا انتقلنا الى الصدقة وجدنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم يثير في نفوسنا المشاعر الطيبه ويحرك العواطف للتصدق والإكثار فيقول " من تصدق بصدقه من كسب طيب ، ولا يقبل الله الا طيب كان كأنما يضعها في كف الرحمن يربيها كما يربى أحدكم فلوه أو فصيله حتى تكون مثل الجبل " وفى حديث آخر " ان الصدقة أول ما تقع فى يد الله عز وجل "

وهكذا فى عيادة المريض يحرك الرسول فى نفوسنا العواطف الطيبة للاسراع فى عيادة المريض بقوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن رب العزة يقول الله : " يا ابن أدم مرضت فلم تعدنى قال ؛ يا رب وكيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أن عبدى فلانا مرض فلم تعده ؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتنى عنده "

والأمر ــ أيضا ــ بالنسبة للتواضع يبدأ بإقناع العقل والعاطفة فى تجنب الفخر والاختيال والابتعاد عن التفاخر والكبرياء بقول الله تعالى : " و لا تمش فى الأرض مرحا انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا " { الإسراء : ٣٧ } وليشد انتباهنا ومشاعرنا يذكرنا بقارون الذى أعطاه الله من المال والملابس والخدم فتكبر واستعلى فى مصيره " فخسفنا به وبماله الأرض وما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين " { القصص : ٨١ }

وهكذا فى كل خلق حميد أمرنا الله به أو ذميم نهانا الله عنه بدأ بإقناع العقل والعاطفة لامتثال أوامر الله واتباع سنة النبى صلى الله عليه وسلم .

رابعا : المسئولية الأخلاقية الشخصية والجماعية :

المسئولية هي :

حالة يكون فيها الإنسان صالحا للمؤاخذه على أعماله ، ملزما بتبعاته المختلفه ، وقد قررها القرآن الكريم في آيات كثيرة منها قول الله تعالى : " أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون " { المؤمنون : ١١٥ } ، وقوله تعالى : " أيحسب الانسان أن يترك سدى " { القيامة : ٣٦ }

و مناط هذه المسئولية : النشاط الإنساني المتمثل في الأعمال الإرادية .

والحديث عن المسئولية يقتضي بيان أنواعها واليك هذه الأنواع :

أ – المسئولية الدينية :

هي التزام المرء بأوامر الله ونواهيه ، وقبوله في حال المخالفة لعقوبتها ، ومصدرها : الدين .

ب – المسئولية الاجتماعية :

هي التزام المرء بقوانين المجتمع ونظمه وتقاليده ، وقبوله في حال المخالفة لمؤاخذته ومصدرها المجتمع .

ج– المسئولية الأخلاقية :

هي حاله تمنح المرء القدرة على تحمل تبعات أعماله وأثارها ومصدرها : الضمير .والقرآن الكريم يذكر هذه المسئوليات الثلاث في قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا آمانتكم وأنتم تعلمون " { الأنفال : ٢٧ }

ويمكن القول بأن كل مسئولية أخلاقية متى قبلها وارتضاها عليه الالتزام بها ، فالمسئولية التي يحملنا اياها تصبح بمجرد قبولها مطلبا صادرا عن شخصنا ، فالقرآن الكريم يقدم المسئولية الدينية في صورة مسئولية أخلاقية محضة ، فحين تحايل بعض الناس على التخلص من بعض تعاليم الصوم سراً وذلك بعد صوم رمضان كان الناس لا يقربوا النساء إذا صلوا

العشاء وكانوا رجال يخونون أنفسهم لنزل الله تعالى قوله : " علـم الله أنكـم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم " { البقرة : ١٨٧ } .

ومن خصائص المسئولية الاخلاقية أنها شخصية وجماعية ، فلكل منا بالضرورة بعض العلاقات ، وهو يشغل جانبـاً معينـاً ، ويمـارس بعـض الوظائف في المجتمع ، فالأب مسئول عن الثقافة الأخلاقية والعقلية لأولاده ، والمربي مسئول مسئولية أخلاقية عن الشباب ، والعامل عـن تنفيـذ عملـه وعماله ، والقاضي عن توزيع العدالة ، والشـرطي عـن الأمـن العـام ، والجندى عن حفظ الوطن .

كذلك نحن– فرادى – مسئولون عن طهارة قلوبنا واستقامة أفكارنـا كما أننا مسئولون عن حماية صحتنا وحياتنا . ومما هو جـدير بالاشـارة أن المبادئ التى قررها الاسلام قصر المسئولية على المسئول وحده يقـول الله تعالى : " تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسـألون عمـا كانوا يعملون " { البقرة : ١٣٤ }

ومقتضى هذا لا يؤخذ برىء بجريرة مذنب يقول الله تعـالى: " مـن اهتدى فأنما يهتدى لنفسه ومن ضل فأنما يضل عليها ولا تزروا وازرة وزر أخرى " { الإسراء : ١٥ }

وهذا على عكس ما كان عليه القانون اليونانى القديم الـذى يقضـى بالاعدام على المجرم نفسه وعلى جميع أفراد اسرته فى الخيانة العظمى وفى انتهاك الأشياء المقدسة .

وناهيك أنه يجب علينا التعاون وأن يضع كل منا يده مع يد صـاحبه فى البر والخير ورعاية مصالح المسلمين وكفالة الأمن علـى حيـاة النـاس وأعراضهم وأموالهم .

خامسا : الحكم على الأعمال ظاهرة وباطنة :

من خصائص الأخلاق الحكم على جميع الأعمال ظاهرة وباطنة .

يقول الله تعالى : " ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد " { ق : ١٨ }

وقد جعل الإسلام جزاء الفعل ثوابا وعقابا مرتبطا بالنية والاتجاه والارادة والقصد ، فالإسلام لا يعتد بالعمل الطيب فى ظاهره إلا إذا كان خالصا لله تعالى بأن يكون طيبا فى ظاهره وخالصا فى باطنه .

ولذلك يقول الله تعالى فى شأن الأبرار الذين كانوا يطعمون الطعام بنيه خالصة متجهة الى الله : " إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكورا " { الإنسان : ٩ }

وروى الشيخان عن أبى موسى قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : " الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن هنا فى سبيل الله ؟ قال من يقاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله "

فالحساب يكون على الأعمال الظاهرة . وعلى الخفية يقول الله تعالى : " وإن تبدو ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله " { البقرة : ٢٨٤ }

والإسلام عندما يحاسب على الأعمال انما يحاسب بالنية لقول النبى صلى الله عليه وسلم : " إنما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه "

من هذا الحديث يستفاد :

أ – أنه لا عمل فى الإسلام إلا بنية فمعنى الحديث أن الأعمال تحسب بنية ولا تحسب إذا كانت بلا نيه .

ب – أى عمل يقصد به وجه الله فيه الأجر ، وأى عمل يقصد به غير الله فحظه فيما يقصده ولا نصيب له فى الأخرة .

ج – النية الصالحة تجعل العمل الدنيوى عبادة يقول النبى صلى الله عليه وسلم : " ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طيرا أوانسان إلا كان له به صدقة "

لذا نجد أن الأئمة ربوا مريدهم وتلاميذتهم على ذلـــك فقــد روى أن الإمام الشافعي رحمه الله كان مع تلاميذه فطرق عليهم الباب طـــارق ، فقام أحدهم ليفتح الباب فقال له الشافعي رحمه الله لماذا قمت ؟ قال : فتح الباب ، فقال له الشافعي مفسحا دائرة نيته ليزداد أجره وتعظم مثوبتـــه ، إذا كان سائلا أعطيته واذا كان مستفتيا أفتيته وإذا كان مستغيثاً أغثته .

ولذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " نية المؤمن خيــر مـــن عمـــله "

وبناء على ذلك لا نجد القرآن الكريم يمدح عملا حسنا لا يستمد نبعه من أعماق النفس ولذلك أضاف الله تعالى التقوى إلى القلوب في قولـــه ســـبحانه " فإنها من تقـــوى القلوب " { الحج : ٣٢ }

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : " إن التقـــوى ها هنا " وأشـــار الـــى صدره مكررا قولته ثلاثا أى أن الحكم إنما يكون على الأعمال الظاهرة مـــن الجوارح النابعة عن قلب ونية خالصة لوجه الله تعالى .

سادسا : الرقابة الدينية :

لابد أن نراقب الله في كل النعم التي أعطانا إياها فقد منحنـــا الســـمع والبصر والفؤاد واللسان لنعمل بهم صالحا ولا نعمل ســـوءا وأن نراقـــب الله فيهم يقول الله تعالى : " ولا تقف ما ليس لك به علم أن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا " { الإسراء : ٣٦ }

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : " إن أفرى الفرى أن يرى الرجل عينيه ما لم تريا "

وقال قتادة : لا تقل رأيت ولم ترى ، وسمعت ولم تسمع ، وعلمـــت ولم تعلم فان الله سائلك عن ذلك كله . فالإسلام يطالبنا أن نراقب الله في كـــل أفعالنا وأن نتثبت في القول والحكم .

يقول الله تعالى : " يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيـــرا مـــن الظـــن إن بعض الظن اثم " { الحجرات : ١٢ }

فلابد من التثبت من كل خبر ومن كل ظاهرة ومن كل حركـــة قبـــل الحكم عليها ، ولا نبنى أحكامنا على التوهم والخيال كما يجب أن نراقـــب الله فى كل شيء فلا ندع سمعنا يستمع الى الغيبة والنميمة وفحش القـــول ولهـــو الحديث ، ولا نرسل أبصارنا إلى أعراض الناس وعوراتهم محملة ببواعـــث الفتنة مشبعة بجرائم الشهوات ، ولا نطلـــق قلوبنـــا تهـــيم فـــى خواطرهـــا وتصوراتها تحلم بكل ما هو حرام ، وإنما علينا أن نتقيد بما أحل الله لنـــا وأن نراعى الله فى كل شيء .

سابعا : النظرة على الإنسان على أنه جسد وروح :

ينظر الى الإنسان على أنه مخلوق من طين وروح مزدوج الاستعداد باستعدادات متساوية للخير والشر والهدى والضلال فهو قادر على التمييز بين ما هو خير وما هو شر " ونفس وما ســـواها فألهمهـــا فجورهـــا وتقواهـــا " { الشـــمس : ٧ ، ٨ } ولقد هدى الإنسان طريقى الفضيلة والرزيلة " ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين " { البلد : ٨ – ١٠ }

حقا ان النفس أمارة بالسوء ولكن الإنسان قادر على أن يحكم أهواءه " وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المـــأوى " { النازعات : ٤٠ ، ٤١ }

ولا ينظر القرآن الكريم الى الطبيعة الإنسانية على أنها شـــريرة فـــى أصلها ، ولا على أنها فاسدة فسادا عضالاً بل على العكس من ذلك قـــال الله تعالى : " لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم " { التين : ٤ }

وقد مدح الله المؤمنين بقوله تعالى: " ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنـــوا وعملوا الصالحات " { التين : ٥ ، ٦ }

وقد منحنا حق الاختيار قال تعالى : " قد أفلح من زكاها وقد خـــاب من دساها " { الشمس : ٩ ، ١٠ } وذلك لتحريك المشاعر السامية فينا والملكات القادرة على تفهم الخير واتباعه واجتناب كل ما يضر مادحا القـــرآن نمـــاذج بشرية استجابة لتوجه الحق :

" وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خـاطبهم الجـاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما... " { الفرقان : ٦٣ ، ٦٤ } إلى آخر الآيات التى تذكر صفات المؤمنين . وثم نماذج بشرية أخـرى طغـت علـيهم شـهوة الـبطن فلـم يسـتجيبوا لاعـلاء غرائـزهم يقـول الله تعالى : " الذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهـم " { محمد : ١٢ }

ثامنا : الجزاء على الخير والعقاب على الشر فى الدنيا والآخرة :

نجد بعض النفوس لاتتأدب بأدب ولا تنهى عن منكـر الا اذا وجـد محرك يثيرها ويدفعها الى التخلق بأجل الصفات وذلك بالضرب على أوتـار القلب لشده الى الجزاء المترتب على الخلق الكريم فى الدنيا والآخرة ، وبيان العقاب المترتب على الأعمال الشريرة فى الدنيا والآخرة .

فلننظر الى تربية القرآن الكريم و هو يربى النفس على خلق السـخاء فبين الجزاء الأعظم للأنفاق بقوله تعالى : " مثل الذين ينفقون أمـوالهم فـى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضـاعف لمن يشاء والله واسع عليم " { البقرة : ٢٦١ }

ومع بيان جزاء السخاء والبركة بـين الله جـزاء المغفـرة للـذنوب والأمان فى الحاضر والإطمئنان فـى المسـتقبل للمنفقـين . قـال تعـالى : " الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون " { البقرة : ٢٧٤ }

هذا الجزاء للمنفقين فى كثير الآيات القرآنية ، فما هو العقاب للذين لا يؤدون حق الله فى أموالهم ويكنزونها ؟ أوضح الله العقاب المخوف للأنفـس القاسية الموقظ للضمائر النائمة بقوله تعالى :

" والذين يكنـزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعـذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنـزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون "{ التوبة : ٣٤ }

وقال تعالى : " ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شراً لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة " { آل عمران : ١٨٠ }

ولننتقل الى تربية القرآن فى التحلى بخلق آخر وهو التقوى ببيان الجزاء فى الدنيا للمتقين بقوله تعالى : " ومن يتقى الله يجعل له من أمره يسرا " { الطلاق : ٤ }

وهكذا التربية الإسلامية فى الدعوة الى التحلى بخلق رعاية أموال اليتامى أوضحت الجزاء والعقاب المترتب على من تسول له نفسه الاعتداء على أموال اليتامى بقوله تعالى : " إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون فى بطونهم ناراً وسيصلون سعيرا " { النساء : ١٠ }

وكذلك الأمر بيان الجزاء المترتب على التحلى بخلق الشك " لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد " { إبراهيم : ٧ }

وما من خلق كريم إلا وفى التحلى به جزاء فى الدنيا والآخرة ، وما من خلق ذميم إلا وتوجد عقوبة لفاعله فى الدنيا والآخرة ، والمجال لا يسع للبيان .

وفى ختام بيان موقف الفكر الإسلامى من ظاهرة العولمة وقدرة الأنظمة والشعوب الإسلامية على أخلقه العولمة أردد دائما أن المسلمون كانوا يوماً رواد منهج عولمى فائق النجاح وإنه رغم غياب الرواد إلا أن المنهج ما زال باقياً غنياً وأنه يجب العودة اليه لتعود ريادتنا فى كافة مجالات الحياة،مع الوضع فى الإعتبار إن إرساء مبادئ الإسلام السامية لا يؤسس فى المجتمع بالتعاليم المرسلة أو الأوامر والنواهى المجردة ، فلا يكفى فى تربية الأخلاق فى النفوس الوعظ والإرشاد وأن تقول أفعل كذا أو لا تفعل كذا وإنما الأمر يتطلب الأسوة الحسنة ، فالرجل أو المرأة الذين لا خلق لهم كيف ينصحون غيرهم وكيف يتركون أثرا" طيبا" فى نفوس الآخرين والواقع أن فاقد الشيء لا يعطيه .

ونظراً لمتابعتى لأنظمة ودساتير بعض الـدول الإسـلامية العربيـة المؤثرة والمحورية ألاحظ الآتى :

إن دساتير هذه الدول نصت على أن الشريعة الإسـلامية المصـدر الرئيسى لكافة التشريعات ، وهنا يبدو التساؤل هل اتخذت هذه الدول الشريعة الإسلامية مصدراً ومنهجاً للحياة فـى كافـة مجـالات الحيـاة الاقتصـادية والاجتماعية والسياسية أم اكتفت باللافتة فقط ، الواقع برهن على أن معظـم الدول الإسلامية اكتفت بالشعار دون إعمال المنهج وتشربت مناهجها من هنا ومن هناك حتى كادت أن تفقد هويتها . رغـم ذلـك إلا أن هناك مثالاً حياً لنظام إتخذ الشريعة الإسلامية اسلوباً ومنهجاً للحياة حتى نـال احترام المجتمع بما فيهم أعداء الإسلام أنفسهم ألا وهو نظام المملكة العربية السعودية الإسلامى الذى حافظ على هويته الإسلامية رغم الرياح والعواصف الآتية من الآخرين تحت مسميات ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب تريـد أن تقتلع هذا النظام الإسلامى من جذوره .

ولكن الله جند لهذا البلد قيادة حكيمة اتخذت الشريعة الإسلامية منهجاً للحياة .هذا النظام الإسلامى قادر على تهذيب العولمة أو النظام العالمى الجديد بمواقف قيادته الثابتة وسلوكيات الشعوب الإسلامية الصحيحة.

"وإن الله على نصرهم لقدير" "ولينصرن الله من ينصره" .

وآخر دعوانا : "**أن الحـمد لله رب العـالـمين**"

الخاتمة

وفي ختام عرض رؤيتي حول أخلقة العولمة بالسلوك الإسلامي الصحيح أحب أن أقرر تلك النتيجة التى وصلت إليها وهى :

أن أصحاب القرار في معظم بلداننا العربية والإسلامية قد آمنوا وقرروا بأننا في ظل حالة الضعف التي نمر بهـا في كـافة المجالات ينبغي أن نكـون المتلقين دائما من الأقوى ، المتأثرين بالأقوى ، المتنازلين للأقوى ، وزاد هذا الاعتقاد بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ م .

(نيويورك ، واشنطن) ، وما تلاه من أحداث تأثر بها العالم بصـفة عامـة خاصة عالمنا العربي الإسلامي .

وهنا أتساءل مستفسرا :

من الذي أوقعنا في هذا الهوان ؟

وهل بتحولنا ونحن أمه ثرية بتراثها وأبناها إلي التـأثر بـدلاً مـن التأثير سنصبح في عداد الأقوياء يوماً ؟

وهل سيسمح لنا الأقوياء ؟

لقد أوقعتنا هذه الرؤى الضيقة التي زكاها بعض أصحاب الفكر في فلك سياسات صندوق النقد الدولي وشروطه المجحفـة وغيرنـا فـي رؤانـا الاجتماعية السياسية والاقتصادية كما أرادت هذة المؤسـسة الدولية وأصبحنا أمه مدينه لا حول لها و لا قوة .

وهنا أتساءل أيضا إلي متي سنظل هكذا ؟

وما هي النتيجة المرجوة في ظل عالم أنتجه غيرنا ورتبـت أمريكـا آلياته ؟

يا ولاة الأمر، يا صناع القرار ، يا أصحاب الفكر ، إذا كنا مؤمنين بالله حقاً وبشريعتنا الغراء ، فلنراجع بصدق مواقفنا داخلياً وخارجياً واضعين

نصب أعيننا ، أن قوتنا في أصالتنا وتمسكنا بأخلاقنا التي سدنا بها العالم يوماً و إذا تجردنا منها لن نعود أبداً ساسة للأمم وقادة للشعوب .

وفي الختام . أرجو الله أن يكون هذا العمل مفيداً ومقبولاً وأن يجندنا جميعـــاً لخدمة قضايا أمتنا العربية و الإسلامية

الباحـــث

أهم المراجع

القرآن الكريم جل من أنزله

١- الإرهاب آثاره على الأفراد والأمم ،الشيخ زيد المدخلى ،دار سبيل المؤمنين ،المملكة العربية السعودية.

٢- الإنفاق على التعليم فى الإسلام "رسالة دكتوراة " مقدمة إلى كلية الحقوق ،جامعة القاهرة للباحث:"المأمون على عبدالمطلب" المؤلف.

٣- الخراج والاستخراج لأحكام الخراج لأبى يوسف ويحى القرشى دار المعرفة بيروت.

٤- سلسلة كتاب المعرفة التابع لمجلة "المعرفة" وزارة المعارف بالمملكة العربية السعودية.

٥- سنن الترمذى لأبى عيسى الترمذى.

٦- صحيح البخارى لأبى عبدالله البخارى.

٧- صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج.

٨- العولمة والهوية الثقافية،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت١٩٩٧

٩- فيض القدير للمناوى.

١٠- كشف الخفاء ومزيل الإلباس للعجلونى ،مؤسسة الرسالة.

١١- لسان العرب لابن منظور ،دار المعارف ،مصر.

١٢- مجلة الحياة ،العدد١٤٣٥ نوفمبر ٢٠٠١

١٣- المجلة العربية العدد "٢٧٣ " فبراير ٢٠٠٠ المملكة العربية السعودية.

١٤- مجلة المنهل ،دار المنهل ،المملكة العربية السعودية.

١٥- المصباح المنير للفيومى ،دار الكتب العلمية.

١٦- المعجم الوجيز ،مجمع اللغة العربية بالقاهرة١٩٩٧

١٧- معلومات دولية السنة السادسة العدد "٥٨ " مقال د:محمد عابد الجابرى.

فهرس الموضوعات

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

رقم الإيداع	٢٠٠٢/١١١١٩


Bibliotheca Alexandrina
0359731